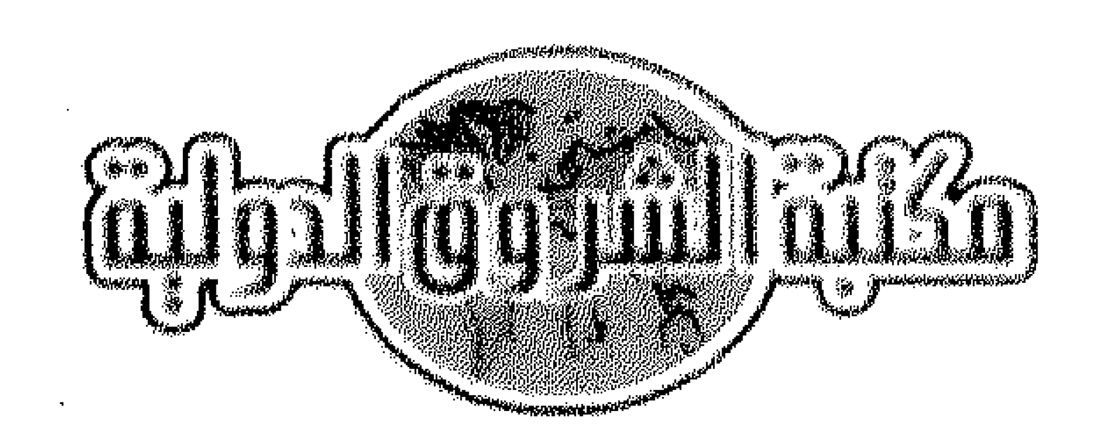
دكتور حسان حتحوت
دكتور إكرام لمعي
دكتور صفي الدين حامد



الإسلام في أمريكا

الإســـلام فى أمـــريكا

الطبعـــة الأولى

١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٣م



ش الفتح ـ أبراج عثمان ـ أمام المريلاند ـ روكسى ـ القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٤٤٤٦٧ ـ ٢٥٦٥٩٣٩ ـ تليفون ٤٥٣٦٢٤٨

Email: adel almoalem < shoroukintl @ Yahoo. com >

الإسلام فى أمريكا

ظاهرة الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة

ومستقبلها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١

د. حسان حتحوت

د. القس إكرام لمعى

د. صفى الدين حامد



الإسلام يحاور أمريكا

د. حسان حتحوت

بداية

لم تكن أول صلة الإسلام بأمريكا محاورة ولكن كانت وجودا. وكان المصدر الأول لهم غرب أفريقيا. . ونقرأ في أدبيات حركات المسلمين السود في أمريكا أن عناصر من المسلمين قد نزحت بطريقة أو بأخرى مع «كريستوفر كولمبس»، أو حتى من قبله في القرن الخامس عشر، ولكن ما يمكن أن نسميه موجة منهم لم يوجد إلا عندما ذهب الأوروبيون أفواجًا إلى العالم الجديد ليستوطنوا هناك، ويضيفوا إلى بلادهم الأوروبية امتدادات جديدة بدأت مستعمرات ثم ولايات ثم دولاً، أهمها الآن الولايات المتحدة الأمريكية.

ولما شرعوا في استثمار تلك الأرض الشاسعة المعطاء، تبين لهم أنهم محتاجون إلى مصادر كبيرة للطاقة، ولم تكن الطاقة تتمثل في ذلك الوقت إلا في السواعد البشرية القوية الفتية، فقرروا أن تكون أفريقيا السوداء مصدرهم لهذه الطاقة، لا عن طريق الاستئجار وعقود العمل، ولكن عن طريق الخطف القسري لهؤلاء البشر، وقامت تجارة الرقيق لا على أنها جرائم تتم في الخفاء ولكن صنعتها الدول وباركتها وولغت فيها واعترفت بها ضمن التشكيل الاجتماعي، والذين قرءوا عن هذه الحقبة من التاريخ لاشك أصابهم الهلع لمدى قسوة الإنسان على الإنسان، وللوحشية التي كانت تسود حركة الاسترقاق، سواء على الجانب الأفريقي حيث كانوا يهاجمون القرى ليصطادوا أهلها عبيدًا، أو خلال النقل البحري إلى أمريكا فيما كان يعرف «بالرحلة الوسيطة» وكان من ضحاياها عشرات الملايين من العبيد ماتوا وألقى بجثثهم إلى المحيط، أو بعد الوصول إلى أمريكا وبيعهم في أسواق النخاسة واعتبارهم سلعًا كالجماد، حتى إن الأم كانت تباع في اتجاه وزوجها وأبناءها كلٌ في اتجاه، ومن بعد ذلك المعاملة المهينة والمذلة لدرجة تقنين أن العبد بعض إنسان وليس إنسانًا كاملاً، وإجبارهم على تغيير أسمائهم وأديانهم وقسرهم على دخول المسيحية، لكن ليس لهم أن يتعبدوا في كنائس البيض، وهكذا وما يعلمه الجميع من

التطورات التاريخية التى خاضتها حركة تحرير العبيد وحركة الحقوق المدنية، والقضاء على التمييز العنصرى، وهو قائم على الورق وبمنطوق القانون، ولكن يدل الواقع حتى يومنا هذا على أنه لم يستقر بعد فى القلوب والضمائر.

كان من بين هؤلاء العبيد المخطوفين أعداد غير قليلة من المسلمين. وكما تدلنا دراسات تاريخ السود فى أمريكا - وقد أصبح علمًا مكتملاً واضح المعالم - فقد كان منهم من قاوم الوضع الجديد، إما بمحاولة الهرب، وقد نجح فيه أفراد منهم. . مثلاً الأمير أيوبا (وكان فعلاً فى قبيلته أميرًا) الذى توقف فى بريطانيا خلال عودته؛ لأنهم وظفوه مترجمًا نظرا لإتقانه اللغة العربية، مما يدل على أنه كان عالى التعليم. وهناك غيره ممن تمسكوا بأداء عباداتهم والامتناع عن أكل الخنزير، بل وراحوا يؤلبون غيرهم من الزنوج على ملاكهم فى تحد للعقوبات الرهيبة، لدرجة أن تجارة الرق كانت تتجنب استيراد الرقيق من مناطقهم فى أفريقيا إذا تبين أن هذه المناطق غنية بهؤلاء «الإرهابيين». . وكان منهم متعلمون، وقد اطلعت على قائمة كتبها أحدهم باللغة العربية (وهى طبعا بالنسبة لهم لغة أجنبية) يسجل فيها كشف الحساب الذى كلفه به المالك الأمريكى فيما وكله به من بيع وشراء. واستطاع نفر منهم أن يورث الإسلام لأبنائه جيلاً بعد جيل، ولكن الأغلبية الساحقة لم تستطع أن تصمد للظروف أو تمتنع عن الذوبان فى الظروف الجديدة على مرور الزمان وتعاقب الأجيال. وتمضى الأيام ويكثر عدد السود، ورغم الحرية التى شرعها القانون يجدون أنفسهم ضحايا للتمييز العنصرى، وموقعهم فى قاع المجتمع، وفرصهم الاقتصادية والاجتماعية محدودة للغاية، وتتململ هذه الأمة وتظهر فيها محاولات وزعامات تدعوها إلى الاتحاد وعدم قبول الظلم والاعتماد على نفسها فى كسب رزقها بدلا من قبول الفتات الممزوج بالذل والذى يقدمه الرجل الأبيض، ونشأت قومية سوداء وحركة سوداء، وكان من بين الزعماء مسلمون، ولكن كان إسلامهم فى الغالب رد فعل لمظالم الرجل (المسيحى) الأبيض وعلى مسيحيته التى تأبى على المسيحى الأسود أن يعبد الله مع المسيحى الأبيض فى مكان واحد. وآلت الزعامة فى ١٩٣٠ إلى داعية اسمه «فرض محمد» ومن بعده إلى خليفته المشهور **«اليجا محمد»**، الذى شكل ما سماه: «أمة الإسلام». لكن مبادئ هذه الجمعية لم

تكن مطابقة تمامًا لما نعرفه عن الإسلام، فقد كان اللون والعنصر فى مركز الدائرة منها. ففيها أن الرجل الأبيض هو الشيطان، وأن لون الإنسان الطبيعى هو الأسود، وأنه لاتعايش بين الأبيض والأسود، وأن السود فى أمريكا كانت ديانة أجدادهم جميعًا فى أفريقيا هى الديانة الإسلامية، ولكن «اليجا محمد» بجانب ذلك كان يحضهم على احترام النفس وعلى ضرورة كسب رزقهم بطريق شريف، وعلى الامتناع عن شرب الخمر وتعاطى المخدرات، والامتناع عن الرذائل الشخصية كالزنى والدعارة والغش والمظهر المرزى والقمار، وفتح لهم المدارس للتعليم وأنشأ التعاونيات وأيقظ فيهم مفهوم الضمير. . وانتشرت دعوته وكان الفضل الأكبر فى ذلك لمساعده الأول وهو شاب سمى نفسه مالكولم إكس Malcolm X (وفى المستقبل الحاج مالك شباز، وقد أوصلت إليه الجماعة الإسلام أثناء وجوده فى السجن يؤدى حكمًا عليه، ومن بعد جهله علم نفسه تعليمًا ممتازًا عن طريق مكتبة السجن، وسبب اختياره اسم مالكولم X هو أن حرفX يدل على مجهول، ولما كان العبيد الأوائل يجردون من أسمائهم ويحملون أسماء مالكيهم الجدد، فقد كانت هذه وسيلته فى التعبير عن أنه لايعرف اسم جده الحقيقى فوضع بدلا منه X. ولما خرج مالكولم كان بالغ النشاط فى الدعوة وفى بسط رقعة «أمة الإسلام» أضعافًا مضاعفة حتى أصبح لها وزن تحس به أمريكا كلها وتعمل حسابه.

لكن حدث شيئان فى حياة مالكولم X . . الأول أنه عرف عن علاقة غير شرعية لأستاذه «اليجا محمد» كانت ثمرتها طفلة. . والثانى أنه ذهب لأداء فريضة الحج بدعوة من السعودية، وهناك رأى المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم يختلطون وكأنهم أسرة واحدة، ويجلس مع مجموعات فيها الأسود الغطيس والأبيض الشاهق دون أن يشعروا بهذا الفرق، فاكتشف أن الإسلام خال من هذا التعصب وأن الناس فيه سواء، وكتب بذلك إلى ابنته، فلما عاد إلى أمريكا غير التعاليم التى كان ينشرها بين الناس ودعا إلى تعاليم الإسلام الصحيحة، وبطبيعة الحال لم يعجب ذلك «أمة الإسلام»، فقتل مالكولم X بالرصاص أثناء إلقائه خطابا فى أحد المسارح، قتله رجلان أسودان لم يقبض عليهما فى الحال، وانتهى التحقيق بقيد الجريمة ضد مجهول.

وفى سنة ١٩٧٥ مات «اليجا محمد» . . ولم يكن على المسرح لخلافته إلا مرشحان : ابنه وزوج ابنته . . وكانا على خلاف عقائدى كبير ، فانقسمت الأمة بينهما ، لكُلّ أتباعه ومؤيدوه . أما الابن فهو **«والاس محمد»** الذى أصبح **«وريث الدين محمد»** ، وكان قبل موت أبيه قد أصبح مسلمًا سنيًا ، ورحل إلى المشرق فتعلم الإسلام الصحيح فاعتنقه وتابعته جماعته ، وصلاته بباقى المسلمين طيبة . وأما زوج البنت فهو الواعظ **«لويس فرخان»** الذى رأى أن وريث الدين قد حاد عن طريق الجماعة الأصلى ، ولازال فى بؤرة اهتمامه قضية اللون الأسود ، وبعض ممارساته فى مساجدهم الخاصة يتحفظ عليها باقى المسلمين ، ومنهم من لايعتقدون بصحة إسلامه ، وهو خطيب مؤثر ومنظم دقيق ، وهناك ظواهر تشير أنه يقترب رويدًا من التيار الإسلامى العام ، والله سبحانه أعلم بالنوايا وما فى الصدور .

والرجلان موجودان وناشطان ، ومن الإيجابيات أنهما اتفقا من زمن على ألا يكون بينهما دم . وأكتفى بهذا رغم حرصى على أن أوضح للقارئ أن ميلاد الحركة الإسلامية فى أمريكا لم يبدأ إذن بالهجرات العربية والشرق أوسطية الأخرى كما يخطر ببال الكثيرين . كذلك أرجو ألا يستنتج البعض أن كل السود فى أمريكا مسلمون . . فالمسلمون بينهم أقلية ، وهم يمارسون نشاطهم الدعوى كغيرهم ولهم نشاطهم فى السجون . . وقد صرحت السلطات هنا سابقًا بأن الذى يعتنق الإسلام فى السجن نادرًا ما يعود للسجن مرة أخرى خلافًا لبقية الأديان ، وامتدحت جهات كثيرة كيف أن تجمعات المسلمين السود بالذات قد استطاع الكثير منها أن يطهر أحياءه من تجارة المخدرات .

ولايوجد جفاء بين المسلمين السود وبقية المسلمين . . ومع ذلك لايوجد امتزاج كامل . . ومرد ذلك أن مذاق أمريكا مختلف فى فم الفريقين ، فهى لهم السجن الذى خطف أجدادهم واستعبدهم وعاملهم أسوأ معاملة ، بينما للمهاجرين الجدد تبدو أمريكا هى الحلم الجميل والذى وجدوا فيه الحرية وحصلوا الرزق الوفير قياسًا إلى أحوالهم فى بلادهم الأصلية . كما يؤلم السود أن يظن الجدد أنهم هم الذين أدخلوا الإسلام فى أمريكا متجاهلين أن الأفارقة الأمريكان هم السابقون إلى ذلك .

موجـات

ثم نتحدث عن موجـات المسلمين الأمريكان الذين هاجروا إلى أمريكا من بلاد الشرق الأوسط وما يليها .

كانت الموجة الأولى فيما حول الحرب العالمية الأولى ضمن من هاجر من رعايا الدولة العثمانية ثم من فلولها . وكان هدفها الحياة الأرغد والرزق الأوفر وفرص الحياة الواعدة فى وطن واعد . وقد حصلوا ذلك فعلاً إلا إسلاميًا . فقد أسعدهم أن يذوبوا فى البيئة الجديدة ، بل إن بعضهم غير اسمه واختار لأولاده أسماء أمريكية حتى لاتبدو عليهم غربة ، واختار نمط الحياة الأمريكية بكل مافيها ، ولا يزال يتناسل بيولوچيًا ولكنه قطع صلته بالإسلام ولعلها كانت مقطوعة بالفعل من قبل أن يجىء .

ونأتى إلى الموجة المعاصرة التى نشطت فى الخمسينيات والستينيات وما بعدهما . ولاشك أن من ضمن أسباب هجرتها معاناتها لظروف طاردة فى بلادها بعضها اقتصادى ، ولكن جزءا مهمًا منها سياسى عقائدى . ووجدوا فى أمريكا بلادًا تكفل لهم حريات لم تكن متاحة من قبل ، بما فى ذلك الحرية فى ممارسة الدين ، بل والتحدث عنه للآخرين . وهى حرية يكفلها القانون لأتباع كل الأديان ، فأنتج ذلك مجتمعًا يقبل التعددية ولايضيق بالرأى الآخر أو المعتقد الآخر ، ومن الجميع شعب واحد صلب الكيان تحكمه ديموقراطية لاسيادة فيها أعلى من سيادة القانون وأولوية العلم والبحث العلمى الذى يمكّن له فى الأرض ويعود عليه بأطيب الثمرات . . ولايعنى هذا الكلام رضاءنا عن كل مايحدث فى أمريكا أو يصدر عنها ، ولكن لاينبغى أن ننكر ما نشهد ، ويثور سؤال ملح حول هذه الموجة المعاصرة من مسلمى أمريكا : ما الذى يمنع أن تذوب كما ذابت سابقتها ، إن لم يكن فى جيلها الأول ففى الثانى أو الثالث أو ما بعدهما؟ . . بطبيعة الحال كل شىء جائز والمستقبل يعلمه الله . . لكننا نبصر فيها ملامح جديرة بالاعتبار عند محاولة إجابة هذا السؤال . فمن هذه الملامح مثلاً :

(١) أنها موجة عقائدية بنسبة كبيرة ، فكثير من أفرادها كانوا يعملون فى الحقل الإسلامى فى السابق ، فلما ضايقتهم بلادهم هاجروا وهم يحملون عقيدتهم معهم ويعملون لها .

(٢) أنها عالية التعليم . . فهى لا تعيش فى قاع المجتمع علميًا ولا اقتصاديًا . . ومن بينهم من يشغلون مراكز عالية وحساسة فى الجامعات وفى مراكز البحث العلمى . كما أن منهم أقطابًا فى الصناعة والتجارة . . ولايستطيع المجتمع أن ينظر لهم نظرة دونية كما يحدث للمسلمين فى بعض مناطق أوروبا .

(٣) أنها ليست أجنبية فى أعين الناس ، وإلا اعتبرنا أن كل من فى أمريكا أجانب فيما عدا الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين ، فشعب أمريكا هو شعب من المهاجرين متعددى الأعراق والديانات .

(٤) أن تعددية أمريكا خففت حدة التعصبات الدينية ، وأنها لا تحمل أحقادًا موروثة مثل الحروب الصليبية أو ذكريات الغزو العثمانى لأوروبا .

(٥) أنها واعية بالتحديات التى أمامها وتتناولها بالعقل والتخطيط .

(٦) أن عددها ليس ضئيلاً ، وأن هذا العدد يزيد باختيار مزيد من الناس الدخول فى الإسلام ، نتيجة لإدراك المسلمين أن من أهم واجباتهم الدينية أن يعرفوا الناس بحقيقة الإسلام .

كل هذه ميزات تدعو إلى التفاؤل . وأذكر أننى أول استقرارى فى أمريكا تمنيت لو أنه بعد عشر سنوات اكتشف الأمريكان أن المسلمين هم أيضًا بشر مثل سائر البشر من فرط سوء الصورة التى طبعها الإعلام فى أذهان الناس عن المسلمين لفترة طويلة . . والحمد لله ففى أقل من هذا الوقت تغيرت الصورة وشعرت أمريكا أن الإسلام دين محترم وتحدثوا عن الأديان الإبراهيمية الثلاثة ، وعين إمام للجنود المسلمين بالبحرية وبالجيش ، ودعى المسلمون للاحتفال بعيد الفطر فى البيت الأبيض (بدعوة من السيدة كلينتون) وافتتحت الدورة البرلمانية فى إحدى السنوات بصلاة من إمام مسلم ، وصدر طابع بريد مكتوب عليه «عيد مبارك» وأحست أمريكا أن أديانها الرئيسية ثلاثة لا اثنان ، **ووصف الإسلام بأنه أكثر الأديان انتشارًا فى أمريكا(*) (وقد يكون ذلك بنية سيئة لتخويف الناس من الإسلام) . كل هذه مؤشرات ومبشرات ، ولكن تقابلها مصاعب وتحديات بل وأهوال من بعد ١١**

(*) حتى سبتمبر ٢٠٠٢م ، أذاعت محطة CNN برنامجًا عن الإسلام أكثر الديانات انتشارًا فى الولايات المتحدة .

سبتمبر ٢٠٠١ . . وسنحاول أن نعرض لكل ذلك . . ولكن بعد أن نعطى نموذجًا من نماذج الحوار بين الإسلام وبين غير المسلمين من مواطنينا الأمريكان، فى لقاءات قد تكون فى المركز الإسلامى أو الكنيسة أو المعبد، أو الجامعة أو المدرسة أو الجمعية، أو المؤتمر أو ندوات المدرسين أو ضباط الشرطة، أو بيوت كبار السن أو السجون . . وغير ذلك كثير، كثير جدًا! . . فكيف نعرض الإسلام؟

الحوار

لايقوم الحوار على المناظرة . . وإنما هو عرض بسيط للإسلام نترك للمستمع نفسه أن يكتشف كم هو قريب أو بعيد منه . **ولاننصح أن يتصدى له إلا من يملك اللباقة الكافية والنفس المحبة، فالناس يشعرون إن كنت تحبهم أم لا** . ونرجوهم أن يستبعدوا مؤقتًا كل ماسمعوه عن الإسلام من قبل، ونقول إن الإسلام يقوم على المحاور الآتية :

أولا : أن للكون خالقًا . وعادة أضرب مثلاً بحفيدتى، حين سألتها : هل الله موجود؟ فأجابت فى الحال : نعم! ثم أضافت : هكذا تقول ماما . وآخذ كتابها وأسألها : من كتبه؟ فتقرأ اسم المؤلف، فأقول لو نزعت الغلاف وقلت لك إن الكتاب كتب نفسه بنفسه بدون كاتب، فتقول محال . . ويتسلسل المنطق أنه إذا كان الكتاب دليلاً على كاتب، فالخليقة دليل على خالق! وتحمل لغات العالم اسما لهذا الخالق؛ فهو فى الفرنسية **«ديو»** واليونانية **«ثيوس»** والفارسية **«خودا»** والعبرية «يهوا» والعربية **«الله»** . . لكن ليس له فى الإنجليزية اسم خاص فاسمه God (يظنون أن للمسلمين وحدهم إلها اسمه الله) .

ثانيًا : فهل يعنينا وجود الله؟ نعم . لأننا إن نظرنا فى خليقته بالدراسة، وجدنا أن الإنسان انفرد بصفات أربع هى (١) العلم، (٢) مفهوم الخير والشر، (٣) حرية الاختيار فى دائرة محدودة، وبالتالى (٤) المسئولية، وأنه يحمل تبعة ما يختار . فالإنسان ليس مبرمجًا كالكائنات الأخرى . . ولكن حياته جهاد دائم، وهو يختار بين شر قد يكون مغريًا، وخير قد يكون شاقًا .

وقد يقول قائل : إن كان الله لايحب الشر فلماذا لايمنعنى إن هممت أن أفعله؟

والإجابة أنه لو فعل فمعناه أننى أصبحت مبرمجًا كالآخرين لا حرية لى، والله أراد للإنسان أن يكون كائنًا حرًا.

ثالثًا: لكن نرى بين الناس من يعيش فى الشر وقد يستمتع به حتى تنتهى حياته فيموت؛ بينما غيره يعيش فى الحق وقد يشقى من أجله تنتهى حياته فيموت! فهل يستويان؟ . . . فطرتنا تقول محال. وإذن فلا يمكن أن يكون الموت هو النهاية. ولابد أن هذه الحياة ستتبعها حياة أخرى يكون فيها الحساب والمساءلة والجزاء. هى التى نسميها الآخرة.

رابعًا: ولأن الإنسان هو المخلوق الذى يقضى حياته يناقش نفسه ويكبح جماحها، فهو من أعز خلق الله عليه، وإذا كانت حياته امتحانًا، فالله يحب أن ينجح فيه الإنسان. وفى غير مساس بحرية الإنسان شاء الله أن يذكّره دائمًا بالخير والشر والحساب الذى ينتظره، فارتأى أن يختار بين الفينة والفينة واحدًا من الناس يرسله إلى قومه ليذكّرهم، فى سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين، ذكرت الكتب السماوية بعض أسمائهم، والحلقات الثلاث الأخيرة هى اليهودية والمسيحية والإسلام. وإذا كان اليهود يعتقدون أن الحلقة الأخيرة هى اليهودية، والمسيحيون يعتقدون أنها المسيحية، فإن المسلمين يعترفون بكل منهما؛ دينًا سماويًا من عند الله حتى ولو لم يكن الاعتراف متبادلاً. ودستور الخير والشر واحد فى الأديان الثلاثة، ومن بين سائر الناس - وكلهم كرمهم الله بحكم إنسانيتهم - فإن اليهود والنصارى أقربهم إلى المسلمين، ويخلع عليهم الإسلام لقب أهل الكتاب، ويسمح للمسلم أن يتخذ منهم زوجة، وأوصى بهم خيرًا، ووضعهم القانونى فى بلاد الإسلام أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

هذا تلخيص، وندعمه بالآيات المناسبة من القرآن الكريم، ويكتشفون تلقائيًا أن الإسلام دين معقول وأن المساحة المشتركة بيننا وبينهم هائلة.

وبعد هذا ننتقل إلى الخلافات العقائدية، لا من أجل الجدل أو الهجوم، ولكن من أجل التعريف، فمن الخير أن يلموا بها تمامًا بدلاً من التسطيح والتعميم الذى يصور أن الإسلام كله خطأ. ونوجز لهم ما نختلف فيه تحديدا فى النقاط التالية:

أولا: مفهومنا عن الله، أنه هو الحق المطلق وله الكمال المطلق ويتجلى هذا فى

حديثنا عنه . ولهذا نستغرب عبارات فى العهد القديم تقول إن الله كان يتمشى فى الجنة ، أو أنه جمع الملائكة وقال لهم انظروا إلى آدم إنه يريد أن يكون واحداً منا ، أو أنه قرر الطوفان ثم قال وددت لو لم أفعل ، أو أن يعقوب صارع الرب فصرعه ، أو أن الله اشتغل بالخلق ستة أيام فكان له أن يستريح فى اليوم السابع ، ونعتقد نحن المسلمين أن يداً بشرية هى التى كتبت ذلك وأسندته إلى الله .

ثانيًا: أما عن الأنبياء والرسل ، فنعتقد أنهم أقرب البشر إلى الكمال ، والمختارون من الله والمبعوثون ليكونوا الأسوة الحسنة للناس . فليس من عقيدتنا أشياء وردت عنهم فى العهد القديم . . كالكذب إذ قال إبراهيم عن زوجته إنها أخته ، أو الغش إذ انتحل إسحاق شخصية توأمه الأكبر عيسو ليأخذ البركة بدلاً منه من أبيهما إسحاق الذى ضعف بصره ، أو الفاحشة مثلما نقرأ عن لوط أنه سكر فواقع ابنتيه . . وإذن فهى إضافات زورها بشر على الكتاب المقدس .

ثالثًا: أن الخطيئة الأولى تختلف رؤيتها بين القرآن والعهد القديم . . فهى عندنا انتهت بمغفرة الله لآدم وحواء بعد أن أغراهما الشيطان (معًا) بأن يأكلا من الشجرة التى حرمها الله عليهما ، ثم استغفرا فتاب الله عليهما . فكل إنسان يولد نقيًا لا يحمل على كاهله خطيئة موروثة ، كما أن نصيب حواء من الخطأ ليس أكبر من آدم ، ويخلو القرآن لذلك من عبارات مثل «فى ألم وشقاء تلدين أنت وبناتك حتى نهاية الدهر» . ولم يكن هبوط الإنسانية إلى الأرض عاراً وشَنَاراً ، بل تكريمًا للإنسان بجعله خليفة الله فى الأرض ، يستعمرها ويديرها بحسب منهاج الخالق لا بهوى نفسه ، وهذا هو امتحان الإنسان (الحر) على مدى حياته الأرضية .

رابعًا: ونختلف مع أبناء عمومتنا اليهود فى مفهوم الشعب المختار . . إن الناس لايتفاضلون بانتمائهم إلى ذرية معينة ولكن بتقوى الله ، والكل أبناء آدم وحواء ، فالإنسانية أسرة واحدة ، ويوم كان اليهود هم الشعب الوحيد المؤمن ، كانوا بإيمانهم بالله خير الشعوب ، لكن انفك هذا الاحتكار بمجيء المسيحية ثم الإسلام .

خامسًا: ونختلف مع اليهود كذلك فى الموقف من عيسى الناصرى ابن مريم البتول . . فهو وإن كان منهم إلا أنهم لم يصدقوه فيما جاء به ، ولم يصدقوا أن أمه عفيفة شريفة حملت به من غير أب . ويعتقد المسلمون أن عيسى كان صادقًا ، وأنه هو

المسيح المبعوث من الله، وأن ما علمه كان من الله وأنه أوتى الإنجيل، وأن أمه البتول حملت به من غير أب، وأن الله أيده بالمعجزات وبالروح القدس. . ويتأثر الجمهور المسيحى كثيراً حين يسمع مختارات من القرآن عن عيسى ومريم عليهما السلام.

سادسًا: ولكن بينما يقول المسلمون إن الله «خلق» عيسى من غير أب، يقول أغلب المسيحيين اليوم إن الله «ولده» وأنه لذلك ابنه الوحيد. فالمسيح لدينا بشر ونبى، رسول كريم. ونروى لهم تاريخيًا كيف تقررت عقيدة التثليث فى القرن الرابع الميلادى فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ م.

سابعًا: ونقول لهم إن المسئولية فى الإسلام فردية ولا تزر وازرة وزر أخرى، ولهذا لا يؤمن المسلمون بعقيدة الفداء، فالواحد منا يخطئ (ولم نخلق للكمال) ولكنه يعتذر إلى الله ويستغفره ويتوب إليه ويصلح ما أفسده فى حق الناس، ونعلم أن مغفرة الله لا يحدها حد، فلا يحتاج الأمر إلى فداء بشخص آخر أو بالاعتراف أمام القسيس.

نقول هذا بكل أدب وبكل محبة، ويستمعون بكل أدب ودون أن يقاطعك أحد، حتى وأنت تختلف مع أقدس معتقداتهم. . والحق أن القوم مؤدبون ومتحضرون، ولطالما أحسست بالخجل وأنا أشهد بعض مثقفينا يتناقشون على بعض قنوات التليفزيون العربية، وقد يكون منظم البرنامج أكثرهم صخبًا وأكثرهم مقاطعة.

بعد ذلك أطرح السؤال المهم: ما الذى نفعله إزاء هذه الخلافات العقائدية؟ إما أن نتحارب من أجلها ويقتل بعضنا بعضا، وإما أن نعيش بها ويقبل كُلّ بصاحبه كما هو، والحساب على الله لا علينا، فأيهما أقرب إلى الله؟ يخبرنا ربنا فى القرآن أن مرجعنا يوم القيامة إليه، وآنذاك سيكون له القضاء، وينبئنا بما كنا فيه مختلفين. وحسب كل منا أن يعرض قناعته، أما محاولة فرضها فمرفوضة؛ لأن القرآن يقول ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾. واختبارنا الحقيقى فى هذه الدنيا هو أن نجعلها أفضل مما هى وأن نكافح الظلم والألم والشقاء، ونعلى العدل والسلام والهناء. . ونحن المسلمين نفتح قلوبنا ونمد أيدينا لكل من يؤمن بذلك ويعمل له.

بعد ذلك نفتح باب الأسئلة. وأدعوهم ألا يحجموا عن أى سؤال يَعنّ لهم. وبطول الممارسة تبينت لى أسئلة ثابتة تتكرر كل مرة، وهى بلا شك تفصح عمّا

يدور فى خلد الرأى العام بخصوص الإسلام، وسنحاول هنا أن نورد عشرة نماذج من هذه الأسئلة والإجابات عليها وبإيجاز شديد :

س: ما موقف الإسلام من الديموقراطية؟

جـ : لقد جاء الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، فهو سابق على ما نعرفه الآن بالديموقراطية . ومع ذلك فالدارس للإسلام نظريًا أو تطبيقيًا فى عهده الأول، يكاد يبصر فى آلياته نسخة مشابهة جداً للديموقراطية الغربية فى مجملها . . وقد عبر عن ذلك نظام الشورى . لكن يختلف الإسلام عن الديموقراطية الغربية فى اعتبارين أساسيين .

الأول: أنك تستطيع فى الديموقراطية الغربية أن تكون أقوى من تعليمات الله إن استطعت أن تحشد أغلبية الأصوات، أما فى الإسلام فالدستور مبنى على الشريعة، فإن شرعت بخلافها فتشريعك غير دستورى . .

والثانى: دور القوى الضاغطة (اللوبى) والرشاوى التى تسمى تبرعات للحملة الانتخابية والتى تجعل السياسيين أسرى لغير ضمائرهم . . هذا غير مقبول فى الإسلام . ولقد ترون التطبيق الديموقراطى الصحيح غائبًا فى عامة بلاد المسلمين الآن، وهذا يحدث على غير رغبة الشعوب، وبقهر من الحكام الدكتاتوريين الذين تساندهم للأسف القوى الديموقراطية الكبرى .

س : ما مكان المرأة فى الإسلام؟

جـ : من اليوم الأول أعلن الإسلام أن الرجل والمرأة متساويان وإن لم يكونا متماثلين . وفرض نفس الأوامر والنواهى على الجنسين، وأعطى المرأة حق الميراث، وأعطاها الذمة المالية المستقلة تتصرف فيما تملك بدون تدخل من زوج أو أب أو أخ أو ابن . وأعطاها حق التعليم وحق العمل واكتساب الرزق الشريف . وحق قبول الخاطب أو رفضه، وجعل خير الناس خيارهم لنسائهم . . وقد كان أول من أسلم امرأة، وأول من بُشر بالجنة امرأة، وأول من استشهد فى سبيل الإسلام

امـرأة، وكـان السـلاح الطبى فى جيش النبى ﷺ كـان كله من النسـاء، بل شـارك بعضهن فى القتال ببعض المعارك وامتدحهن النبى ﷺ بعد المعركة. وبطبيعة الحال نأسف جميعًا أن هذا الوضع الإسلامى غـائب فى بعض بلاد المسلمين، وليس هذا بسبب التمسك بالإسلام، بل بسبب الجهل به أو إيثار العادات والتقاليد عليه.

س: ما موقف الإسلام من الديانات الأخرى؟

جـ: كل إنسـان مكرم لأنه إنسـان. ولا إكـراه فى الدين. واليـهـود والنصـارى أقرب الناس للمسلمين فهم أهل الكتاب.. بل هم زملاء فى الدين لقول الله فى القرآن: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣] والزواج من نسائهم جائز، ولهم مالنا وعليهم ما علينا، وكلنا متساوون أمام القانون، ولهم أن يطبقوا على أنفسهم ما ورد فى كتبهم السماوية.

س: ما معنى الجهاد؟

جـ: أى بذل الجهد.. ويكون ذلك أولاً فى إصلاح النفس، ثم فى إحقاق الحق وإزهاق البـاطل. وهو لايعنى «الحرب المقـدسـة» وإن كـان لايسـتـبـعـد الحـرب إن عجزت كل الطرق الأخرى.

س: ما الموقف من الفصل بين الدولة والكنيسة؟

جـ: طبعًا فى أمريكا والعـالم المسيحى يكون هذا هو الرأى الصواب ونحن هنا نناصـره.. ولكن لايمكن سـحب الموضـوع على المسلمـين فى بلاد الأغلبـيـة الإسلامية، وإلا كنا غير موضوعيين. ففى الإسلام لا توجد كنيسة وفى المسيحية لا توجد دولة. وبينما جاءت المسيحية بالأخلاقيات والفضائل والتسامح والمحبة، فإن القرآن جاء بالمثل، ولكن أضـاف نظامًا تشريعيًا فضفاضًا تؤخذ منه القوانين ولا يستطيع المسلمون أن يحذفوا ذلك من دينهم.

س : ما مسألة تعدد الزوجات فى الإسلام؟

جـ : هى نفسها فى المسيحية واليهودية من قبل، فقد وجد فيهما التعدد، ومن أمثلته الأنبياء المذكورون فى العهد القديم ولم يتهمهم أحد بالخروج على القانون الإلهى(*) . . ولازالت كنائس فى أفريقيا تزوج الرجل أكثر من امرأة؛ حتى تكثر عدد المسيحيين فى مواجهة الزيادة الإسلامية. والذى أضافه الإسلام هو تحديد العدد واشتراط العدل الذى اعتبر أن تحقيقه بالغ الصعوبة. ولقد منعت أوروبا التعدد من باب التطور الاجتماعى، وبدأ ذلك فى القرن السادس الميلادى حين أصدر الإمبراطور «چستنيان» قانونًا بأن أى فرد من السلم الكنسى يتزوج على امرأته فسيحرم من الترقية. وفى البلاد الإسلامية كذلك تعمل العوامل الاجتماعية على تقليص التعدد، فالأمر مرهون بمرور الزمن. علمًا بأن الإسلام (كاليهودية والمسيحية) يحرم الجنس خارج الزواج، كما أصبح شائعًا فى المجتمعات الأخرى.

س : لماذا تكرهون اليهود وتريدون إلقاء إسرائيل فى البحر؟

جـ : المسلمون لايكرهون أحدًا، واليهودية محترمة عندهم كدين سماوى. وفى كتاب المستر «أبا ايبان» وزير خارجية إسرائيل الأسبق ومن صفوة مثقفيها، والكتاب اسمه «قومى»، يقول: **إن اليهود فى تاريخهم صادفوا العدالة مرتين: الأولى فى الأندلس الإسلامية، والثانية الآن فى الولايات المتحدة الأمريكية. وعندما طرد اليهود مع المسلمين من إسبانيا اختار معظمهم اللجوء إلى دول إسلامية، خاصة دولة الخلافة التركية أو الشمال الأفريقى.**

لكن المشكلة جاءت لما أرادت الصهيونية الاستيلاء على فلسطين وطرد أهلها منها لجعلها دولة لليهود. وروجوا لأكذوبة تقول: «إن فلسطين أرض بلا شعب تعطى لشعب بلا أرض»، وهو ما تبين للجميع كذبه الآن. واخترعوا حقيْن لهم على أرض فلسطين:

الأول: الحق التاريخى؛ لأنهم عاشوا بها سابقًا (فترتين لا يتجاوز مجموعهما

(*) من الأمثلة على ذلك أنبياء الله: إبراهيم - يعقوب - داود - سليمان.

ثلاثمائة عام)، ويقول التاريخ: إنهم لما دخلوها لم يجدوها خالية من السكان، وعاشوا بها مع سكانها، ولما رحلوا لم يتركوها فارغة. .

والثاني: الحق الدينى المتمثل فى وعد الله لإبراهيم عليه السلام: «لك ولبذرتك (أى ذريتك) أعطى هذه الأرض من النيل إلى نهر الفرات العظيم». ولكنهم يصرون على أن بذرة إبراهيم تقتصر على اليهود فقط (بنى إسرائيل. . وليس كل اليهود من ذرية إسرائيل)، مع أن الكثيرين من بذرة إبراهيم وإسحاق قد دخلوا المسيحية والكثيرين دخلوا الإسلام، فضلاً عن أن إبراهيم عليه السلام كان له ابن آخر هو ابنه الأكبر إسماعيل أبو العرب وجد النبى محمدﷺ .

وفى الصراع القائم، كان سند الصهيونية الوحيد هو القوة العسكرية الضخمة التى زودتها بها دول أوروبا، ثم الآن الولايات المتحدة على نطاق ضخم. وعلى المسرح السياسى الآن مشروع سلام يعطى كلاً من الفريقين دولة مستقلة فى فلسطين، ونرجو أن يتوصلوا لحل معقول يرضى الطرفين وإلا فإنه لن يدوم. والصراع الدائر الآن يشبه الصراع بين الذئب والحمل، وللأسف فإن هناك من يلوم الحمل ولايلوم الذئب، وأعتقد أننا هنا فى أمريكا لانرى إلا صورة منقوصة للمآسى التى تحدث فى فلسطين؛ لأن الإعلام يتحكم فيما يُعرض وما لايُعرض، وليس كل الناس يتتبعون الأخبار على محطات التليفزيون غير الأمريكية.

س: تقول إن إسماعيل كان ابن إبراهيم. ولكن أمه (هاجر) كانت جارية لا امرأة حرة، ولهذا فهو لايعتبر ابنًا حقيقيًا.

جـ: لو فتحت سفر التكوين فى العهد القديم فستجده فى مرات متوالية يتحدث عن علاقة إسماعيل بإبراهيم مستعملاً فى كل مرة كلمة «ابنه».

ثم لو قرأت عن بنى إسرائيل الاثنى عشر فستجد عددًا منهم أمه جارية. فقد تزوج إسرائيل ابنتى عمه راحيل وليئة مع جاريتهما بلهة وزلفة (كان ذلك مسموحًا آنذاك). . وأنجبت الأولى ستة والباقيات كل واحدة اثنين. . ومع ذلك فلم يقل

أحـــد إن بعض أبناء إســـرائيل كـــانوا أقل بنوة له لأن الأم كـــانت جـــارية(*) .

س : ما الفرق بين السنة والشيعة؟

جـ : الفرق ليس دينيًا. فالشيعة والسنة يؤمنون بالله الواحد والقرآن الواحد والنبي هو محمد ﷺ وشريعة الإسلام واحدة. وقد مات النبي ﷺ وخلفه في رئاسة الدولة (لا في النبوة) **«أبو بكر»** وبعد وفاته **«عمر»** وبعد وفاته **«عثمان»** وبعد وفاته **«عليّ»** . . وهنا حدثت أزمة سياسية طاحنة بين الدولة وبين حاكم الشام **«معاوية»** أدت إلى حروب وإلى اغتيال «عليّ» . . وتولى معاوية الحكم . . واستمرت «شيعة» عليّ حركة سياسية معارضة، ويكوّنون اليوم ١٠ ـ ١٥ بالمائة من المسلمين. . أما من الناحية الفكرية فكانت منهم شخصيات صاحبة مدارس فكرية أو مذاهب كما حدث في أهل السنة تمامًا. والمسلم السني العاقل والشيعي العاقل يدركان أن كلاً حرٌ في فكره لكن التعاون مطلوب .

س: إذا كان الإسلام كما تقول دين السلام، فلماذا يتقاتل المسلمون فيما بينهم؟ وإذا كان دين العلم فلماذا توجد أعلى نسب الأمية في بلاد المسلمين؟ وإذا كان دين التراحم، فلماذا الغنى المفرط والفقر المدقع داخل بلاد المسلمين؟

جـ : هذا كلام صحيح ولكنه قد يوقعنا في غلطة كبيرة. . وهي أنك تقرأ الإسلام في أعمال المسلمين. ولو حاولنا أن نقرأ المسيحية مثلاً في أعمال المسيحيين فلا شك أننا سنقع في نفس الغلطة. فليس من العدل أن ننسب إلى المسيحية تاريخ المسيحيين الطويل وما احتواه من الاستعمار ومذابح اليهود ومحاكم التفتيش وامتصاص دماء الشعوب المستعمرة وحركة تجارة الرقيق والحروب الصليبية والحروب العالمية واستعمال القنابل الذرية والانحياز إلى الظلم ضد العدل في مناطق كثيرة من العالم، التفسخ الأخلاقي الذي يطوي العالم الآن. . كل ذلك

(*) أضف لذلك أن أبناء يوسف جاءوا من زوجته المصرية، فعلى المنطق الصهيوني يكون للمصريين نصيب في فلسطين. ثم هل الرق مقبول الآن حتى نقول أولاد جارية وأولاد حرة؟
وعند بعض المؤرخين، هاجر كانت أميرة مصرية استرقها الحكام المستعمرون لمصر في ذلك العصر.

مارسه المسيحيون، ولكننا جميعًا نقول إن الدين المسيحى برىء منه، وأن الناس تحاكم إلى الدين لا أن الدين يحاكم إلى الناس. **والذى يحدث الآن هو أن المسلمين الآن يعيش معظمهم فى قبضة دكتاتوريات تحول بينهم وبين الأوضاع الإسلامية الصحيحة، والذى يعين هذه الدكتاتوريات ضد رعاياها دول ترفع شعار الديموقراطية وحقوق الإنسان، ولكن دافعها الحقيقى هو الطمع المادى والاستعمار الجديد.**

هذه النماذج العشرة عينة فقط، ولا يتسع المجال لإعداد قائمة حصرية لما يوجهونه من أسئلة، ولكن هذه أهم المتكررات. ولكن بطبيعة الحال من بعد ١١ سبتمبر ظهرت أسئلة جديدة، كما نشبت حملة إعلامية بالكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية سيتطرق إليها حديثنا فيما بعد. وليست هذه المحاضرات هى نقط التماس الوحيدة مع بقية المواطنين أفراد الشعب الأمريكى. . فبجانب اشتراكنا فى هيئات الديالوج الدينى، يؤدى المسلمون رسالتهم (خارج الوظيفة والعمل الرسمى) من خلال عضويتهم فى الهيئات والمنظمات الاجتماعية، كمكافحة التسلح النووى والحرب البيولوچية وجمعيات حماية البيئة ومكافحة الإدمان وحقوق الإنسان والنقابات المهنية ورعاية المرضى وجمعيات أولياء الأمور بالمدارس ومؤتمرات الأخلاقيات الطبية، وكل مناحى الحياة فى أمريكا، وأداؤهم فيها مفيد ومشرف والحمد لله. كما أن المراكز الإسلامية مفتوحة للجميع، والكثير منها يضع صفوفًا من المقاعد يوم الجمعة؛ ليدخل من يشاء من غير المسلمين لسماع الخطبة ومشاهدة صلاة المسلمين. **ومن الذكريات اللطيفة أنه فى إحدى المناسبات كان الكاردينال الكاثوليكى فى لوس أنچلوس حاضرًا، فلما أقيمت الصلاة خلع نعليه ووقف فى الصف يؤدى حركات الصلاة مع المصلين، وقد لايكون لذلك قيمة دينية ولكن قيمته الرمزية واضحة فى إبداء المودة والاحترام.** وفى مرة أخرى، حين أعلنا أننا سنصلى صلاة الغائب على الذين فقدوا حياتهم فى مبنى مركز التجارة العالمى فى نيويورك، فلقد كان من بينهم أعداد من المسلمين، حضر عمدة لوس أنچلوس ومدير الأمن وطاقم من كبار الموظفين وجلسوا فاستمعوا إلى الخطبة (كان اليوم جمعة) **ولما جاء دور صلاة الغائب، انتظموا فى الصف وشاركوا المصلين.**

التحديات

ولا أعنى بالتحديات جوانبها السلبية بالضرورة . . ولكنها حقائق الحياة التى لابد من مجابهتها وإيجاد الحلول لها فى العاجل أو الآجل، ومن ذلك ما هو ميسور وقريب المنال ومنها ما لابد له من الصبر لكن فى عزم وإصرار. والقضية المحورية هنا هى قضية البقاء فى أمريكا ومد جذور الإسلام فى أرضها، والجذور هنا هى الأجيال القادمة المتعاقبة من المسلمين. ولازالت أمريكا تتأرجح بين فلسفتين: فلسفة بوتقة الانصهار، وفلسفة صحن السلاطة. بمقتضى الأولى تسيح المكونات كلها لتعطى مزيجًا جديدًا تختفى فيه مكوناته الأصلية، وبمقتضى الثانية يظل كل من المكونات محتفظًا بذاته وصفاته لكن ينسجم الجميع فى وحدة لا تستر ولاتنكر مكوناتها ويبقى لكلٍّ كيانه المنسجم والمتعاون مع بقية الكيانات، وهو ما يعبرون عنه بقولهم: «من الكثير . . واحد».

لابد إذن من بناء «الشخصية الأمريكية الإسلامية»، والتمكين لها لتقاوم عوامل التعرية المحيطة بها، وضمان نموها عرضًا وعمقًا، وفى ميدان العمل والممارسة تكشّف لنا من التحديات على طريق العمل الإسلامى نوجزها فى الآتى:

١ - المسلمون

وفى اعتقادى أن المسلمين يمثلون التحدى الأكبر . . فهم الخامة المتاحة لبناء جالية إسلامية فضلاً عن حركة إسلامية. والجزء الأسهل فى هذا الشأن هو استرداد المسلمين الذين ضاعت أجيالهم السابقة من الإسلام وكسبهم للإسلام مرة أخرى . . ومنذ حوالى عشر سنوات قدرنا أن المساجد والمراكز الإسلامية إنما تتعامل مع ٥ إلى ١٠ بالمائة من المسلمين الموجودين بأمريكا، فظهرت الحاجة إلى التوسع الأفقى، والواقع أن المراكز الإسلامية أبلت بلاء حسنًا كمراكز جذب وتجميع المسلمين، فبينما بنى أول مسجد فى أمريكا فى بلدة «سيدر رابيدز» بولاية «أوهايو» إذا بأمريكا الآن ١٩٠٠ (ألف وتسعمائة) من المراكز الإسلامية.

ولم يكن اجتذاب المسلمين الشاردين هو المصدر الوحيد لهذا التوسع الأفقى، بل إن أعدادًا كبيرة من غير المسلمين دخلت فى الإسلام، ليسوا من لون واحد

ولاجنس واحد ولا درجة تعليم واحدة ولاطبقة اجتماعية واحدة، ولايمر يوم دون أن يدخل فى الإسلام مزيد من الناس، حتى بعد الأزمات الأخيرة. ونحن لانعتقد أن مهمتنا هى أن يدخل الناس فى الإسلام، لكن أن يعرفوه. . ولهذا فإن من يأتى إلينا ليشهر إسلامه ننصحه بألا يتعجل، وبأن هذا قرار خطير وأنه لابد أن يستوثق من صحة قراره، وأن يسأل كل الأسئلة التى تدور بباله. . وبعد كل هذا وليس قبله ينطق بالشهادة أمام شهود ويعطى شهادة من المركز الإسلامى بأنه اعتنق الإسلام. والحق أن شعورى إزاء هؤلاء الإخوة والأخوات الجدد هو شعور التواضع والتضاؤل، مهما كنت أعلى منهم فى سلم المعرفة الإسلامية، فنحن ولدنا مسلمين لكن أولى بالتقدير من سعى حتى اقتلع شجرة حياته من أرض، وغرسها فى أرض أخرى. هؤلاء هم المحترمون حقًا، ويجب أن نضعهم فوق رءوسنا لا أن نحاول أن نترأس عليهم أو نتأستذ كما يفعل بعض الأغرار من المسلمين.

قلت هذا هو الجزء الأسهل!! فما هو ياترى الجزء الأصعب؟. . أولئك هم المسلمون الناشطون فى العمل الإسلامى والفعالون فى مراكزهم ومساجدهم، والمتصدون للحديث عن الإسلام وباسم الإسلام، دون معرفة كافية ولاحكمة عالية ولاشخصية مواتية. **ولقد صدّر الشرق إلى أمريكا كافة ما لديه من أصناف المسلمين، وليست كلها خيرًا وبركة. هناك عقليات لا تعيش فى أمريكا جغرافيًا، ولا فى الزمن الحاضر إلا بحكم النتيجة المعلقة على الحائط. وهناك المولعون بتحريم الحلال وتضييق رقعة المباح. . وهناك المنفرون الذين يريدون أن يكونوا مبشرين دون أن يملكوا من مؤهلات ذلك شيئا. . وهناك المستمسكون بالأنماط السائدة فى بعض مجتمعات المسلمين، يحسبونها هى الإسلام وليست بالضرورة منه، ولكنها الأعراف الموروثة والتقاليد البالية. . ومنهم من يستنكف عن الاختلاط بأوساط الشعب الأمريكى، مع أنه هو الذى تقدم بطلب الجنسية ونالها، وحصل من أمريكا رزقه، وخضع لقوانينها ودفع ضرائبها، وحمل جواز سفرها واستحل خيراتها.**

وعندما بدأنا فى بناء الجسور مع الناس هنا من عشرين عامًا اتهمونا بالمروق. . وعندما دعونا المسلمين إلى التسجيل فى القوائم الانتخابية والمشاركة فى اللعبة السياسية، ثارت ثائرتهم وطعنوا فى ديننا وولغوا فى سيرتنا بالغيبة والنميمة وكافة الوسائل غير الإسلامية.

لحسن الحظ أن هذه النوعية آخذة فى الانكماش، ومآلها إلى زوال عما قريب إن شاء الله. لكن مما يوجع القلب كذلك منظر المسلمين فى العالم الإسلامى، فله مردوده على صورة الإسلام هنا، خاصة والضوء مسلط والعدسات المكبرة تصطاد السلبيات، والحملة على أشدها. وفى المسلمين اليوم من العيوب ما لايحسن إنكاره ولاتقبل أعذاره. . **وفى بلاد المسلمين الآن حمى اسمها تحسين صورة الإسلام فى الغرب، ولعل من أهم وسائل ذلك العمل على تحسين جوهر الإسلام فى الشرق.**

٢- التعليم

اكتشف الأمريكان المسلمون - أخيرًا - أن بناء مدرسة أهم للإسلام من بناء مسجد. وساعد على هذا الاكتشاف الحالة المزرية التى وصل إليها التعليم الحكومى (المجانى) العام فى أمريكا. ثم إنه يسهل أن تجعل فى المدرسة مسجدًا أكثر من أن تجعل المسجد مدرسة. . موجة بناء المساجد كانت فيما يبدو حنينًا إلى الماضى وإلى الوطن الأم، لكن موجة بناء المدارس تطلع إلى المستقبل وإلى الوطن الذى سيضم حياة أبنائك وأحفادك لارفات آبائك وأجدادك. التعليم الحكومى هنا يدرس فى العلوم الاجتماعية أن أنواع الأسرة خمسة: رجل متزوج بامرأة، ورجل يعيش مع امرأة، ورجل يعيش مع رجل، وامرأة تعيش مع امرأة، وأسر أحادية الوالدية، أى الأبناء مع الأم وحدها (ونادرًا مع الأب وحده). . فى غير أدنى محاولة للتعليق بأن هذا صواب وهذا خطأ، ولكنها أصناف متعددة فى مجتمع مشغوف بالتعددية.

وفى كثير من المدارس يباع الغلاف البلاستيكى الواقى من الحمل فى الفترينا الآلية التى تبيع الشكولاتا والبسكويت والمشروبات الغازية والعصير. . وتدرس برامج الثقافة الجنسية، وهدفها التوعية بمنع العدوى واتقاء الحمل. والتدنى الأخلاقى أفضى إلى شيوع الجريمة (كأن يقتل تلميذ أستاذه أو زملاءه) وارتفاع نسبة حمل الطالبات القاصرات غير المتزوجات، ونسبة اللواطية والسحاقية والإدمان وتكوين الشخصية الفردية الأنانية التى تعتبر أن كل لذة تساورها هى حق من حقوق الإنسان!

فى هذا الوسط يلزم أن يكون دور البيت فى التربية دورًا جبارًا. وليست كل

البيوت مؤهلة لذلك. كذلك كانت الكتب المدرسية تحتوى مغامز كثيرة وخرافات عن الإسلام، لولا أن اتصل المسلمون بالناشرين وأقنعوهم بتلك الأخطاء، وتكَوْن مجلس استشارى من أساتذة جامعات مسلمين؛ ليكونوا مرجعًا للناشرين فيما يكتب عن الإسلام، وتم تأليف كتاب مرجعى عن الإسلام للمدرسين، ونظمت مراكز كثيرة دورات تدريسية للمعلمين عن الإسلام يحتسب لهم حضورها، هذا عدا حملة منظمة للمحاضرة عن الإسلام فى المدارس، وتم وضع كتب منتقاة عن الإسلام فى مكتبات العديد من المدارس.

وقد جرب المسلمون بادئ الأمر - ولا يزالون - فكرة مدرسة الأحد (ويوم النشاط فى المراكز الإسلامية هو يوم الأحد).. تأتى الأسرة إلى المركز لسماع المحاضرات ومعها الأطفال لحضور مدرسة الأحد.. قرآن ولغة عربية ساعتان كل أسبوع.. خير من لاشيء.. ولكن دون المطلوب بكثير.. ووجد أنه لاغنى عن المدرسة النظامية الإسلامية.. مدرسة اليوم الكامل، ولكن مع دراسة للقرآن وللغة العربية، وأهم من ذلك للقيم الإسلامية (فوق المقرر الأمريكى)!! ورغم حداثة التجربة، ففى أمريكا الآن ستمائة مدرسة نظامية إسلامية. وهى طبعا مدارس خاصة أى بمصروفات.. ومصروفات التعليم الخاص فى أمريكا ليست قليلة، والحكومة لا تعطى أية مساعدات للمدارس التى تدرس الدين (أى دين.. بما فى ذلك المدارس النصرانية واليهودية)، وطبعا هذا عنصر له اعتباره، خاصة وهناك حرص على ألا يكون المستوى الاجتماعى فى المدرسة الإسلامية أقل منه فى سائر المدارس الخاصة، وإلا أصيب الطفل فى المستقبل بعقدة الدونية.

ونستطيع القول إن المدارس النظامية الإسلامية ناجحة فى مهمتها. وهى لا تغطى بالكامل مرحلة التعليم قبل الجامعى (إلا القليل.. ومعظمها يبدأ من الروضة وما قبل المدرسة إلى الصف الرابع إلى الثامن). وبعضها اشتهر بارتفاع المستوى، وظهر أن خريجيها عندما يتركونها إلى المدارس الأخرى غير الإسلامية فإنهم يحتفظون بشخصيتهم الإسلامية وأدائهم الإسلامى، بل يكونون سفراء للإسلام فى مدارسهم الجديدة سواء بسلوكهم أو بالمحاضرة عن الإسلام.

وما زال الطريق فى أوله أمام التعليم الإسلامى فى أمريكا، فلا توجد وحدة

تنتظمه رغم بعض المحاولات، ولا زالت البرامج غير موحدة، ويطمح المسلمون في المستقبل إلى هيئة عليا للتعليم الإسلامي.. ومسألة المصروفات المدرسية خاصة للأسر محدودة الدخل أو كثيرة العيال، لا بد لها من دعم من القادرين من المسلمين في الداخل والخارج، حتى ولو لم يكن لهم أطفال في المدرسة، والهوة بين «المتمسكين» - ولا أريد أن أقول الرجعيين - وبين «التقدميين» بين الذين يتولون تعليم الدين خصوصا لابد أن تختصر، وسيحدث إن شاء الله.

٣- الأخــلاق

وهذا البند يندرج تحت «التعليم» لكنني أفرده نظرا لأهميته.. إن على رأس قائمة الرعب في نفوس الوالدين بالنسبة للأطفال الإباحة الجنسية وتعاطي المخدرات. وفي أمريكا يخرج الابن أو البنت من سلطان الأب والأم عند سن معينة، فلا يعود لهما سلطان كالحال في بلاد المسلمين. وحتى في الطفولة، إذا ضرب الأب أو الأم الطفل (ورحم الله أياما شبعنا فيها ضربا ونحن صغار) فهذا يعتبر بحكم القانون جريمة، ويدخل الضارب السجن، وقد يسحب الطفل من أسرته ليعطى لأسرة أخرى حاضنة (بأجر تدفعه الدولة).. وشهدنا مآسي لأسر مسلمة جاءت لأمريكا وهي لا تعرف هذه الأوضاع.. وكل من اشتبه في إيذاء طفل (معلمة أو ممرضة أو طبيب) فعليه أن يقدم بلاغًا، وإلا وقع هو تحت طائلة القانون..

ويتضح من ذلك أمران: الأول أن فرصة التربية محدودة زمنيا، وأفضل ما تكون في السنوات الأولى من العمر، وهي التي تكون ثقة الطفل فيها في أمه أو معلمته كاملة، وقبل أن تزاحمها أو تصطدم بها آراء زملاء الدراسة في السنوات التالية، ووقته معهم أطول من وقته مع أهله، وضغط الزملاء قوي الأثر.. والأمر الثاني أن التربية لا بد أن تنبني على الاقتناع العميق وليس الخوف أو التلقين أو الإرهاب الفكري.

وأود أن أعرض لسيناريو يعالج مسألة الجنس لدى الأطفال في سن المراهقة من الجنسين.

أواجه الفصل وأرفع يدي وأقول: إنني أعتقد بالمساواة بين الجنسين فمن يوافقني؟ ويرفع الجميع أيديهم موافقين؛ لأن هذه بالفعل عقيدتهم الثابتة. فأرفع يدي مرة

أخرى قائلا: إننى أومن بالعدالة فمن يوافقنى؟ ويوافق الجميع؛ لأن هذا ما يعتقدون.

وهنا أرفع يدى ثالثة وأقول: إن كل علاقة بين اثنين لا تعود نتائجها بالتساوى على الطرفين لا يمكن أن تشكل عدالة وإنما تشكل ظلما. . فمن يوافق؟. . ومرة أخرى يوافقون جميعا. هنا أقول لهم إن حرية الجنس خارج الزواج لا تعود نتائجها بالتساوى على الطرفين، فالبنت هى الخاسرة باستمرار. إذا عوشرت وهجرت، وإذا حملت فاضطرت لإجراء الإجهاض، وإذا استمرت فى الحمل ثم تنازلت عن وليدها للتبنى، وإذا احتفظت بوليدها فى أسرة أحادية بغير أب، فى كل هذه الأحوال يقع العبء عليها وحدها: فهل هذا عدل؟؟. . ويصيح الجميع: لا.

أقول ولهذا فإن الله لا يوافق على هذه العلاقة إلا إذا تحقق فيها العدل، أى عقد زواج يكفل لكل طرف حقوقه إزاء الآخر، ويضمن حق الطفل في أن يكون له والدان يعرفهما ويكونان مسئولين عنه حتى يكبر ويكون مسئولا عنهما إذا أدركا الشيخوخة. وبعد ذلك يأتى دور النظر فى آيات القرآن وفى أحاديث الرسول ﷺ.

كذلك بالنسبة للخمر والمخدرات. . أسألهم إن دخل حمار إلى الفصل وزنقه البول فبال، هل نلومه؟ لا. . لأنه حيوان! فإذا فعلها أحد منكم؟ فهو مخطئ ويلام ويعاقب. وما الفرق بينهما؟ العقل الذى يدلنا أن هذا صح وهذا خطأ. إذن فأى شىء يعوق هذا العقل عن أداء وظيفته قد يتسبب أن أتصرف كالحيوان أو أفعل ما لا يليق أو أرتكب جريمة أو آتى حادثة وأنا أقود السيارة. . وهذا هو الحال فى الخمر والمخدرات.

أما عندما تستقر المعرفة بالله وينضج الوجدان الدينى، فهنا يأتى دور «سمعنا وأطعنا» وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

٤ـ فقه الأقلية

لقد كتب جسم الفقه الإسلامى فى بلاد المسلمين، والمسلمون هم الكثرة الغالبة وكما تقضى الشريعة مع مراعاة ظروف الزمان والمكان والإمكان. . وحتى فى بلاد المسلمين، غيّر الشافعى فى مذهبه عندما انتقل من العراق إلى مصر. وفى بعض

المجتمعات الإسلامية أغلق باب الاجتهاد أو ضيق ضيقًا شديدًا فلم يواكب الفقه مرور الزمن، وتخلف عن شئون العصر الذى نعيش فيه. وإن عددًا كبيرًا من المسلمين فى عالم اليوم يعيشون أقليات فى أوطان غير إسلامية وفى أوضاع تغاير أحوال البلاد الإسلامية. ولقد بات واضحًا أن العالم أو المفتى الذى يعيش فى جزيرة العرب أو شبه القارة الهندية مثلا، لا يستطيع أن يفتى لأهل لوس أنجلوس فى أمور هم يدركونها ويعيشونها وهو لا يعرف عنها أو لا يستوعبها. الحياة الجديدة إذن محتاجة لطراز جديد من المفتين والمجتهدين، قد لا تتوفر فيهم كل شروط الاجتهاد المنصوص عليها، ولكنهم على الأقل ملمون بما يتصدون لبحثه، فكما قيل: الحكم على الشيء فرع عن تصوره. وهنا بين الحين والآخر كتابات فى هذا الموضوع، وتكون ما يسمى بمجلس علماء المسلمين ولكنه فيما أتوسم لن يحقق كتابة فقه الأقلية فى المستقبل القريب، فالمسلمون هنا لم يتفقوا جميعًا بعد على كيفية تحديد أول رمضان. والأمر يحتاج لنظرات جريئة وجذرية فى أبواب كالتعاملات المالية وشراء الضرورات كالبيت والسيارة، والاشتغال ببعض الأعمال والوظائف، ومشكلات الأسرة والزواج والطلاق ومواطن الرخصة (فى غير حرام). **ولا أكاد أرى فى المستقبل الآجل إلا أن هذه الكفاءات ستنبت محليا، أعنى فى أمريكا،** وقد يكون من المفيد عقد ندوات (غير جماهيرية) مع بعض علماء المشرق من الأزهر مثلا، والاهتمام بالدراسات الإسلامية العليا فى أمريكا، وما زالت أغلب رئاساتها بيد أساتذة غير مسلمين.

٥- القاعدة السياسية

بدأ لوبى إسلامى يتكون.. وتكونت ست جماعات سياسية إسلامية ينتظمها حلف رئاسته دورية.. واكتشف المسلمون أخيرًا أن دخولهم حلبة السياسة الأمريكية ليس كفرًا، وأنه فى إطار حديث النبى ﷺ عن تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب، فإن لسانك فى أمريكا هو صوتك الانتخابى فى بلد يتقرر فيه كل شيء بعدد الأصوات، وأصبحت معظم المراكز تهتم بأن يسجل أعضاؤها فى

سجلات الناخبين . . علما بأن الذين كانوا من قبل يعارضون ذلك، كانوا منغمسين تماما فى العمل السياسى، ولكن كامتدادات للأجواء السياسية فى الشرق الأوسط، فلا هم أثروا على الشرق الأوسط ولا على أمريكا. كانوا أجانب لا وزن لهم، وكان نصيبهم الخلافات الداخلية بين شيعة وسلفية وصوفية وإخوان وحزب التحرير وهكذا. وهناك بطبيعة الحال تكتلات عرقية (لوبى) تعمل لمؤازة قضايا معينة مثل الپاكستانيين من أجل كشمير، واللوبى العربى من أجل القضايا العربية، وفى مقدمتها فلسطين، وهو لوبى ناشط وأقدم عهدا من اللوبى الإسلامى والعلاقات بينهما طيبة ويتعاونان فى قضية فلسطين.

والقوة السياسية الكامنة للمسلمين كبيرة، وقد فطن إليها رجال السياسة حتى من قبل أن يفطن إليها المسلمون. فمنذ الثمانينيات وجدنا المرشحين يحرصون على الاتصال بالمراكز الإسلامية قبل الانتخابات لأخذ موعد لمقابلة جماهير المسلمين للاستماع لوجهة نظرهم وتبادل الرأى معهم. **وسمعت سياسيا مؤيدا للحقوق الفلسطينية يقول أثناء خطبته فى تجمع إسلامى: «إن الإسلام فى أمريكا عملاق ولكن يرجى أن يستيقظ هذا العملاق»**، ومن الظواهر الحديثة أن الانتخابات المهمة قد يحسمها عدد ضئيل من الأصوات، ويقال إن نجاح بوش كان سببه أصوات المسلمين فى فلوريدا. ومن توقعات المستقبل حتى الآن أن الوزن السياسى للمسلمين سيزداد، وخاصة على يد الجيل الجديد الذى ولد فى أمريكا والخالى من عقد الشرق الأوسط (*) والشغوف بالالتحاق تطوعا فى مكاتب المرشحين وأعضاء البرلمان والمتجه إلى الدراسات السياسية أو الإعلامية بدلا من الطب والهندسة التقليديين (وهو ما كان يفضله الآباء ضمانا للرزق وشعورا بعدم الاستقرار). وقد رأينا من أداء هؤلاء الشباب ما يطمئن، وهم معقد الأمل فى غد أفضل إن شاء الله.

وليس للمسلمين تفضيل لحزب بالذات يؤيدونه على الدوام، ولا يمكن القول حتى الآن إنهم كتلة انتخابية موحدة، وإنما أيد معظمهم بوش إثر أسئلة وجهها المسلمون لكل من المرشحين بوش وآل جور (الذى وقع اختياره لمنصب نائب رئيس

(*) الدكتاتورية والقبلية والنفاق والسلبية.

الجمهورية على السناتور ليبرمان اليهودى الصهيونى الشديد التعصب لإسرائيل) .
كانت الأسئلة أولا عن القانون الجديد الذى يسمح بالاعتقال والإبعاد للأجانب المشتبهين بدون الإفصاح عن أى دليل حتى للمتهم نفسه، وقال بوش إنه لا يؤيد ذلك القانون . والثانى عن توسيع باب المشاركة السياسية أمام المسلمين وغيرهم من الأقليات ورحب بوش بذلك. والثالث عن الشرق الأوسط، وأعرب بوش عن أمله فى حل عادل يضمن حقوق الطرفين. أما آل جور فقد رفض أصلا مقابلة المندوبين المسلمين. . فكان لابد مما كان! **لكن السياسة فى أمريكا عصبها المال والإعلام**. ولا أقول إن المسلمين متقاعسون فى أى منهما، فهم يساعدون أى مرشح متعاطف بالمال والدعاية والإعلام ولكنهم حتى الآن مسبوقون سبقا كبيرا بلوبيات أخرى على رأسها اللوبى الصهيونى واسع الثراء واسع النفوذ، والذى أعتقد أنه لا يغدق المال فقط يشترى به ولاء السياسيين وإنما كذلك يفتش فى حياة الناس عن سوءات أخلاقية أو مالية؛ ويحفظ لكُلٍّ ملفا يهدد بفتحه أو ينشره فعلا عند اللزوم .

أما إعلام المسلمين فما زال طفلا صغيرا رغم ٨٨ دورية صحفية وعدد من دور النشر الإسلامية وبرامج الإذاعة والتليفزيون، ولكن أين هى ممن يملكون كبريات الصحف والمحطات التليفزيونية والإذاعية؟ . . وقد جاءت الإنترنت فرجا على المسلمين، فهى تكسر الاحتكار بعض الشىء، وتلوح فرص فى الإعلام الرئيسى نحاول انتهازها بقدر الطاقة .

٦ـ الأعداء

وواضح من هم الأعداء ولماذا هم أعداء؟ . وسنجمل الحديث عنهم أثناء عرضنا لمجريات الأمور بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، يوم العدوان على نيويورك وواشنطن، وهو بلا شك تاريخ فارق لن تعود أمريكا ولا العالم إلى ما كان عليه من قبله .

١١ سبتمبر ٢٠٠١

كانت أحداث هذا اليوم صدمة عنيفة للشعب الأمريكى كله، ومواطنوه المسلمون جزء منه . . وشمل الحزن والحداد الجميع، وقد أفضت فى ذلك فى الباب الذى كتبتة من كتاب «قارعة سبتمبر» إصدار مكتبة الشروق الدولية . . ولكن المسلمين وجدوا أنهم يحملون مع الهم العام همّا آخر، حين ظهرت أصوات تتهم الإسلام والمسلمين، وتصور أن كل مسلم هو إرهابى فعال أو إرهابى كامن. وتلخص الموقف سريعا فى أربع جبهات رئيسية بالنسبة للمسلمين:

الأولى: موجة من الحوادث الفردية ولكنها على كثرتها فردية. قتل هندى سيخى؛ لأنه يشبه المسلمين إذ له لحية وعمامة، وقتل قبطى مصرى، وتعرضت بعض الشخصيات أو المراكز الإسلامية لتهديدات، وتحرش بعض الطائشين لمحجبات . . لكن هذا فى أمريكا أمر عادى، وقد توقفت هذه الموجة خاصة بعد أن أعلن الرئيس بوش أن الإسلام دين سلام وأن أمريكا تحارب الإرهاب لا الإسلام.

أما الموجة **الثانية:** وهى الأهم والأشمل وأصبحت ظاهرة قومية قوية، فكانت التحام قطاعات الشعب مع مواطنيهم المسلمين بالتواصل والحب والرعاية والحماية، وكانت لذلك مظاهر رائعة متعددة، وظهر أن الجسور التى أقامها المسلمون مع سائر أبناء الوطن جسور قوية وأنها آتت أطيب الثمرات فى مثل هذا الوقت العصيب. ولن نتوسع هنا فى عرض الصور الجميلة أو ضرب الأمثال المفرحة أو دغدغة مشاعر القارئ المسلم.

وأما الجبهة الثالثة: فبطبيعة الحال هى التى يحسب حسابها ويخشى ضررها، فهى الصهيونية بذاتها وبحلفها مع اليمين المسيحى المتطرف فى أمريكا. وقد نجحت الصهيونية فى بناء نفوذ كبير لها فى أمريكا، منه ما هو ظاهر ومنه ما هو وراء الكواليس وفى دهاليز عالم السياسة وعالم الاقتصاد.

والصهيونية اعتادت احتكار الأذن الأمريكية والعقل الأمريكى، وتكره أن

يدخل صوت إسلامى منافس، فهى تحاربه من زمان بكل قوة. **ويجب أن نفرق بين الصهيونية واليهودية، فمن بين اليهود ناس منصفون ولا يوافقون على سياسة حكومة إسرائيل، ويبدون رأيهم بصوت مسموع فى المؤتمرات والمناسبات التى تجمعنا، وينادون بحق الفلسطينيين فى دولة مستقلة آمنة، ولكن هناك إجماعا يهوديا الآن على الانتماء لإسرائيل والحرص على سلامتها، وهو تحول عن الموقف القديم لليهود المتدينين الذين كانوا يعارضون الصهيونية وينكرون أن تكون لليهود دولة سياسية معارضين هرتزل وأتباعه. فماذا عن اليمين المسيحى المتطرف؟ حليف الصهيونية وأكبر مدافع عن سياسة حكومة إسرائيل مهما كانت تلك السياسة ومهما كانت تلك الحكومة. هذه حركة قديمة فى المسيحية وهى شظية خرجت من عباءة البروتستانتية.. وكان الشعب الأمريكى ينظر إليها دائما على أنها «أصولية» متطرفة ضيقة الأفق وتتمسك بالتفسير الحرفى للكتاب المقدس. وآراؤها الاجتماعية والأخلاقية محافظة جدا، فهى ضد الإجهاض وضد الإباحة الجنسية، وضد اللواطية والسحاقية، لدرجة أن أحد أقطابها وهو القس چيرى فالويل وصف أحداث الحادى عشر من سبتمبر بأنها عقاب من الله لأمريكا إزاء ما وقعت فيه من تفسخ أخلاقى وإباحة جنسية، ثم اضطر إلى الاعتذار عن تصريحه هذا لما رأى الاستنكار ينهال عليه من كل جانب. لكن لهم كذلك ـ للأسف الشديد ـ اعتقادا آخر ينبنى على التمسك بحرفية التوراة وبالاعتساف فى التأويل واتباع الهوى فيه: ذلك بأن عودة المسيح مرهونة بتجمع اليهود فى فلسطين وإقامة دولة لهم وبناء هيكل سليمان ومعركة حربية رهيبة فى أرما جدّون الواقعة شمال شرقى القدس، ثم تحول اليهود جميعا إلى النصرانية، وهنا يعود المسيح ليحكم العالم بالعدل والسلام حتى نهاية الزمن! والشرط الأخير وهو تحول اليهود إلى النصرانية طبعا مرفوض تماما بل وملعون من قبل اليهود سرا وعلانية، فضلا عن أن المسيح الذى يؤمنون «بعودته» على هذه الصورة هو المسيح عيسى ابن مريم أو يسوع الناصرى الذى عاش فى فلسطين فعلا قبل حوالى ألفى سنة، وهذا لا يعتبره اليهود إلا رجلا كذابا ومدعيا ولا يعتبرون أمه إلا امرأة ساقطة، وما زالوا فى انتظار المسيح الموعود الذى لم يأت بعد.. ولكن بقدرة ماكر، قرر الطرفان التعاون ولو مرحليا فى الجزء**

المشترك وهو إقامة دولة لليهود فى فلسطين، ولما قامت دولة إسرائيل أصبح اليمين المسيحى مذياعا كبيرا يمجد الرب ويرى فى تحقيق النبوءة شهادة للتوراة بالصدق، وأن الكتاب المقدس هو فعلا من عند الله . . وتطور الأمر فإذا كل ما تفعله إسرائيل سواء بدا حسنا أم قبيحا هو تحقيق لنبوءة توراتية وتعبير عن مشيئة الله! لقد كان اليمين المتطرف هامشيا، ولكن أحداث ١١ سبتمبر فجأة نفخت فيه الروح وبعثت فيه الهمة، وإذا الحلف يركب الموجة العارمة من الوطنية التى ركبها الكثيرون ولكل نيته وقصده كما قال الشاعر :

«ليلَى : تعدَّدت الأقياس نائحةً وكل قيسٍ على ليــلاه غنانا»

واليمين المسيحى يملك ـ فيما يملك ـ عددا من محطات التليفزيون الضخمة، وقد خلق من الوعظ التليفزيونى صناعة ضخمة ذات أرباح خيالية، ولا غرو أن تحول اسم الشهرة الذى يوصفون به من «الإنجيليين» إلى «التلفانجيليين»، ومنهم شخصيات معروفة عالميا مثل القس چيرى فالويل الذى أهدته إسرائيل طائرة نفاثة، والقس بات روبرتسون الذى قال إن المسلمين أشرار وكتابهم شرير ونبيهم شرير وإلههم شرير، وقال إن شارون جانب الصواب؛ لأنه يريد أن يقضى على الفلسطينيين جزءًا جزءًا، والأولى أن يوجه لهم ضربة قاضية واحدة (وتصوروا أن هذا الرجل دخل معركة الترشيح لرياسة الجمهورية منذ نحو عشرين عاما). وهناك أسماء كانت لامعة ثم انطفأت مثل چيم باكر الذى انطوى إثر فضيحة مالية، وچيمى سواجارت الذى رآه العالم الإسلامى منذ عقدين خلال مناظرته المشهورة مع الداعية أحمد ديدات، وقد انتهى بعد اكتشاف علاقة سرية بينه وبين إحدى المومسات. واليمين المسيحى تركيبة من مجموعات متفرقة، ولكن له كذلك معتنقيه فى الأروقة السياسية، خاصة الحزب الجمهورى، ومنهم مساعدون لبوش . . ولا بد أن المسلمين قد سمعوا مع العالم عن تصريح أشكروفت وزير العدل بأن فى الإسلام يطلب الله منك أن ترسل ابنك ليموت من أجله، بينما إله المسيحية يرسل ابنه هو ليموت من أجلك! تعليقا على العمليات الفدائية التى تحدث فى فلسطين. وقد أثارت هذه العمليات الفدائية هنا اهتمامًا حادًا ولغطًا واسعًا، وتثير استنكارًا

شديدا لا أدرى أهو عن عقيدة، أم لأنها السلاح المحير الذى ليس له سلاح مضاد حتى الآن، فماذا تفعل إزاء خصم لا يهمه أن يموت؟ وشغل هذا الموضوع مساحة واسعة فى النقاش بين المسلمين أو بينهم وبين غيرهم فى الأحاديث الصحفية والحوارات الإذاعية أو التليفزيونية، وهل القائمون بهذه العلميات حقا شهداء أو منتحرون؟ فهم يرتكبون جريمة شنيعة وإثما مبينا؟ وكان تعقيبى دائما أن هذا السؤال غير ذى موضوع، والأحرى أن يحال الأمر إلى دائرة النظر العلمى، والعلم يقول إنه ليس من الطبيعى أن يتصرف الناس بصورة طبيعية وهم تحت ظروف غير طبيعية. . ولا يكمن الحل فى المدح أو القدح فى تصرف معين ولكن فى نقل الناس إلى ظروف طبيعية.

إن أمريكا خليط من اتجاهات كثيرة وقوى متعددة تلتقى على أمور مشتركة، ولكن تتفاوت فى غيرها. والظاهر أن الموسم الآن موات للقوى اليمينية، ومن صفاتها أنها فى صف الأغنياء والشركات الكبيرة، وأنها تحب الظروف الحربية والعسكرية على اعتبار أن المعيشة تحت نظام الحرب أكثر فائدة لأمريكا من العيش تحت نظام السلام، وطبعا على رأس المستفيدين المركب الصناعى/ العسكرى الذى حذر منه أيزنهاور فى أيامه، ورغم أن أمريكا آلمتها ضربة سبتمبر إلا أنها تنوى استثمارها إلى أوسع مدى ممكن اقتصاديا وعسكريا وأيديولوچيا وعولميا.

إلا أننى لا أتمنى لأمريكا أن تستبد بها غطرسة القوة فى الخارج فتفقد أصدقاءها وحلفاءها، ولا فى الداخل فتفقد معناها المميز وحياتها الحرة المفتوحة السعيدة، وإلا فهى تفقد نفسها من حيث لا تدرى. . والميزان ولا شك دقيق، والخيط رفيع بين احتياجات الأمن واحتياجات الحياة الحرة، وأمريكا اليوم أحوج إلى البصيرة منها إلى البصر! أليس من دلائل ذلك أن يقول رئيسها عن أرييل شارون إنه رجل سلام؟!

ثم انتقل إلى الجبهة الرابعة. . جبهة المسلمين.

بعد الشعور المؤقت بالخوف والترقب والتحسب، جاءت فترة الانفراج والاطمئنان. وبالنسبة للمسلمين والإسلام، سنحت فرصة إيجابية هائلة، فإن الناس أصابتها موجة حادة من حب الاستطلاع عن الإسلام. نفدت المصاحف

والكتب الإسلامية من المكتبات، لكن الأهم من ذلك طوفان من الدعوات للشخصيات الإسلامية للمحاضرة عن الإسلام، عرضت صورته الصادقة لأول مرة على ملايين كثيرة من الشعب الأمريكى لم تكن تعلم عنه إلا ما يروج خصومه. ويوم يهبط الغبار ويروق الجو فسيكون لذلك مردوده الملموس. .

وأعتقد كذلك أن الظروف ساعدت الحركة الإسلامية هنا على أن تنفى خبثها، وتسكت تلك الأصوات الطائشة التى كانت تهرف بما لا تعرف وتخطب بين الناس بما لا ينفع الإسلام بل بما يضره، وتقيم الفوارق بين من يؤمن بالإسلام حقا ومن سارع إلى الخفاء والاستخفاء ونقل أبناءه من المدارس الإسلامية إلى غيرها، ومن الناس من يعبد الله على حرف.

لكن تمر الأيام ويحس الكثيرون من المسلمين بأكثر من حيرة ! هل انتهى شهر العسل؟ تشريعات وإجراءات أمنية غريبة على ما ألفته أمريكا: فهل مرت بسهولة لأنها تستهدف المسلمين؟ أو لأنها فعلا ضرورات لا غنى عنها والناس معذورون فما تذيعه وسائل الإعلام هو أن إرهابىّ سبتمبر كلهم مسلمون؟ وتنفخ أمريكا فى بوق مكافحة الإرهاب عالميا، فإذا الموكب يضم إسرائيل تكافحه فى فلسطين وروسيا فى الشيشان والهند فى كشمير والصين فى چبانچنج والفليبين فى جنوبها، ولا ذكر للإرهاب الذى يتعرض له المسلمون فى أكثر من مكان أو يمارسه غير المسلمين فى أكثر من مكان! ثم لا تبدو بادرة لمحاولة التفريق بين الإرهاب وبين الحق المشروع فى الدفاع عن الوطن ومقاومة الاحتلال. . بل كله إرهاب فى إرهاب مما يذكرنى بالنكتة التى انتشرت منذ عقود فى بلادنا: «كلهم مسلمون ولاد. . . !» لقد قرأنا كتاب «صدام الحضارات» لصمويل هنتنجتون وأنكره الجميع، لكن كأننا نراه آخذا طريقه إلى التنفيذ، تماما كما تبرأ اليهود فى السابق من كتاب محاضر حكماء بنى صهيون لكن نراه ينفذ بحذافيره أمام أعيننا حرفا بحرف.

وفى أمريكا يشهد المسلمون الآن ظاهرة جديدة لعلها تمر بهم لأول مرة. محطات الإذاعة الخاصة والتليفزيون التلفانچيلى: يفتحون المصحف وينتقون منه آيات يقرءونها على طريقة «ولا تقربوا الصلاة» رأيت بات روبرتسون مرة يمسك

ترجمة القرآن ويقرأ : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» . . ثم يقول : دين عنف . . دين عنف! وكتبت له فى سياق ما قبلها وما بعدها من الآيات أقول إن الإسلام لما فتح مكة لم يبق بها مكان للأصنام ولا لعبدة الأصنام، فأمرهم بالجلاء عنها وأعطاهم فرصة الأشهر الأربعة الحرم **(إلا لو غطتهم معاهدة مع المسلمين أجلها أطول من الأشهر الأربعة فيبقون مدة المعاهدة)** وينذرهم من قبلها بأربعة أشهر بأنهم إن لم يرحلوا فسوف يستأنف القتال على أشد ما يكون . . فمن شاء الإسلام فمرحبا به . . وحتى فى المعركة إن استجار أحد من المشركين بمسلم فعلى المسلم أن يجيره ويبلغه الإسلام ثم يوصله إلى مكان أمين : فهل هناك ما هو أكثر نبلا وإنسانية من ذلك؟ طبعا لم ينشر ردي ولكن وضعناه على الإنترنت . والذى أقلقنى أن كثيرا من المسلمين ليست لديهم المعرفة الدينية للرد على هذه الأسئلة : مما كشف لنا أن على المسلمين من الآن فصاعدا أن يستذكروا ليتعلموا دينهم، لم تعد تكفى الحماسة أو تنظيم الاجتماعات أو الخروج فى المظاهرات فى عجز كامل عن الرد على هذه الأسئلة التى أصبحت فى متناول الآخرين، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين كما يقول النبى عليه الصلاة والسلام . ولا نزال نحن المسلمين نذكر أمريكا بأن الإرهاب يكافح بمكافحة الأسباب التى تؤدى إليه، وأن القوة العسكرية وحدها لا تكفى . . وأن الحق والعدالة والتراحم هى التى تقضى على الإرهاب .

ونظر إلى العالم الإسلامى الكبير فيعتصر الأسى قلوبنا، وننظر إلى العالم العربى الذى يتلقى الصفعات واحدة تلو الأخرى فيكون تعليقه فى كل مرة : السلام خيارنا الاستراتيچى . **والذى لا يحمى نفسه فكيف يخطر بباله أن يحميه غيره؟ وليس هذا حكمنا النهائى على العالم العربى على كل حال، فنعتقد أن لديه الفرص والإمكانات التى تهيىء له القوة والاحترام والتقدم، بشرط أن يراجع أموره جديا، وأن تتغلب المصالح العليا على المصلحة الفردية، وأن يكون الجميع على استعداد للتضحية . . أقول الجميع، وأقول التضحية .**

وإذا بدوت على المدى القصير متشائما، فإننى بالقطع متفائل على المدى

الطويل. الحضارة المادية لن تستطيع أن تعيش على الماديات فقط. وإذا كان العالم المعاصر يعيش نظرية داروين التى تقول البقاء للأصلح أى للأقوى، فإن صعود الإنسانية فى مدارج الحضارة منذ فجر التاريخ يقول بغير ذلك، وما استطاعت الإنسانية أن تكون إنسانية ولا الحضارة أن تسمى حضارة إلا عندما استقر لديها مفهوم «الحفاظ على الضعيف». . عبرت عن ذلك التقدمات العلمية الطبية وغير الطبية من جانب، ومن جانب آخر مدارج الرقى فى القوانين الوضعية والقوانين الدولية ومفاهيم حقوق الإنسان الشرعية الدولية والقيم الإنسانية والروحية التى فطر الله عليها الإنسان وجاءت بها الشرائع والأديان.

بغير ذلك ستسقط الإنسانية فى هوة سحيقة، وستنتحر بالعلم الذى تفخر به وتعتز، وستصلى سعاراً لاهبًا يشقى به القوى قبل الضعيف.

وآفة المسلمين اليوم أنهم أدنى من مستوى الإسلام بمسافات فلكية. أهذه الجماهير التى نراها (أو الحكومات التى تحكمها) هى خير أمة أخرجت للناس، والتى آلت إليها خلافة الله فى الأرض، والشهداء على سائر الأمم؟ لا لا. لا يمكن أن تكون هى. لا بد من استيفاء المواصفات. هذه بداية الطريق، ولا يوجد طريق سواه.

* * *

د. حسان حتحوت

لوس أنجلوس - كاليفورنيا

طبيعة الحوار
الإسلامى الأمريكى

د. القس إكرام لمعى

مقدمة

كثر الحديث هذه الأيام عن العلاقة بين الإسلام والغرب، والسؤال الذى تتعدد إجاباته هو: هل هذه العلاقة هى علاقة صدام أم حوار؟ تفاعل أم تنافر؟ ولكى ندرس جيداً هذا الأمر علينا أن نضبط بعض المصطلحات التى تستخدم فى أمريكا عن الإسلام، مثل: الإنسلام السياسى، والإحياء الإسلامى، والأنشطة الإسلامية، والإسلاميين، والأسلمة والإسلام النشط. وكل هذه المصطلحات ظهرت على السطح كمحاولة لفهم الظاهرة الإسلامية الحديثة، والعامل المشترك الذى يربط بين هذه المصطلحات هو الإيمان بأن الإسلام نظرية سياسية، أى دين ودولة، ومصطلح الأصولية الإسلامية أو الإسلام الأصولى - وهو أكثر المصطلحات استخدامًا فى الميديا الغربية حاليًا - لم يستطع أحد أن يعرفه بدقة حتى الآن، بل إن كل هذه المصطلحات فشلت فى التعبير عن الإحياء الإسلامى الحقيقى، فكل مصطلح يقدم جانبًا ما ويغفل معظم الجوانب الأخرى للإسلام، وكل مصطلح يصطدم بالممارسة الفعلية على الأرض، فهناك دائمًا تناقض بين المصطلح فى فورمته وشكله، وبين التطبيق العملى له أو ما يشير إليه.

ولكى نفهم طبيعة الحوار الأمريكى الإسلامى علينا أن نقوم بخمسة أمور:

الأول: تطور النظرية المسيحية الغربية عبر التاريخ تجاه الآخر.

الثانى: تحليل السياسة الأمريكية فى ضوء التناقض بين القيم المعلنة والسياسة الواقعية.

الثالث: دور الحضارة والتاريخ فى الحوار.

الرابع: دور السياسة والأمن فى الحوار.

الخامس: دورالمثقفين الأمريكيين فى الموقف من الحوار.

أولا: تطور النظرة المسيحية الغربية عبر التاريخ تجاه الآخر

قبل أن نتحدث عن الحوار الأمريكي ـ الإسلامي المعاصر، قصدت أن أعود إلى الجذور المسيحية منذ أن بدأت من ألفي عام في موقفها من الآخر المختلف، وهل الفكر المسيحي عن الآخر هو الفكر الغربي حيث نعلم أن الفكر الغربي أو الحضارة الأوروبية بنيت على الفكراللاهوتي المسيحي، أم أن تاريخ الحضارة الغربية وموقفها من الآخر اختلف عن الفكر المسيحي الأصيل، رغم أنهم أعلنوا في كل موقف من الآخر أنهم يعتمدون في هذا الموقف على الإنجيل والكتاب المقدس؟ وبناءً عليه فسوف نستعرض في هذا الفصل المفهوم اللاهوتي للآخر في الفكر المسيحي، ثم نستعرض التاريخ في شكل محطات بداية من القرن الأول ومرورًا بدخول الإسلام إلى مصر، ثم الحرب الصليبية فالإصلاح الديني في أوروپا والإمبراطورية البريطانية والإرساليات الدينية في القرن التاسع عشر، وانتهاءً بالإمبراطورية الأمريكية المعاصرة.

المفهوم المسيحي عن الآخر

عندما ظهر السيد المسيح في اليهودية في القرن الأول الميلادي قدم فكرًا ثوريًا على المفهوم اليهودي الذي يقسم العالم إلى شعب الله (اليهود) والأمم وهم باقي شعوب العالم، فقد كانت صلاة اليهودي اليومية **«أشكرك اللهم لأنك لم تخلقني عبدًا ولا أمميًا ولا امرأة»**. وإذا كانت الشريعة الموسوية قد أمرت بحفظ يوم السبت **«اذكر يوم السبت لتقدسه»**، إلا أن التلمود وضح بالتفصيل كيف يحفظ يوم السبت، ومن ضمن التفاصيل لحفظ السبت أنه لو سقط بيت على رجل يوم السبت على اليهود أن يتأنوا في عملية الإنقاذ؛ حتى يعرفوا إن كان هذا الرجل أمميًا أم يهوديًا، فإن كان يهوديًا فإنقاذه يوم السبت ليس فيه كسرًا للسبت، أما إذا كان أمميًا فلا يجب إنقاذه يوم السبت، وإلا ستكون عملية إنقاذه خطيئة ضد الشريعة. وفي موقف كهذا وبخهم السيد المسيح بالقول: إنهم يفتون على البعوضة ويبلعون الجمل، وكان يقصد بالفتوى على البعوضة أنهم يدققون في الأكل والشرب. . . إلخ. بالتفصيل الممل ولكنهم يرفضون إنقاذ حياة رجل تحت الأنقاض لو ثبت أنه أممي، وهذا هو بلع الجمل، وهنا جاءت تعاليم المسيح في كيفية قبول الآخر

ومحاولة ربحة ثورة فى الفكر اليهودى؛ مما أدى إلى غضب اليهود عليه، فهو يقول **«سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، أما أنا أقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من ضربك على خدك الأيمن حول له الآخر أيضًا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا، ومن سخرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين . . . إلخ»**[(1)].

وهنا لا يرفض السيد المسيح الشريعة أو القانون «عين بعين وسن بسن» لكنه يتحدث عن روح القانون، فالمسيح لم يضع قوانين تصلح للمجتمعات البشرية وضبطها قانونيًا، لكنه كان يتحدث عن أن الغفران والصفح هو الطريق لربح الآخر المختلف، أو تجاوز القانون لربح الآخر، لكن الحاجة دائمًا إلى العودة للقانون لضبط إيقاع المجتمع وتطبيق القانون (عين بعين وسن بسن)، وذلك فى حالة عدم تجاوب الآخر.

ولقد كان لبولس الرسول فضل عظيم فى الخروج برسالة المسيح إلى غير اليهود، وتأصيل هذا الفكر بصورة فقهية ولاهوتية واضحة؛ لكى تشمل هذه الرسالة العالم كله ولا تقتصر على شعب بعينه، وهكذا ساوى بين اليهودى والأممى فى الوقوف أمام الله معتمدًا على المسيح الذى مات لأجل العالم، والحض على أن يبذل المسيحى نفسه لأجل الآخر المختلف. هذا هو الفكر الذى بدأت به المسيحية فى القرنين الأولين، وكانت المسيحية تنتشر تحت الأرض فى هدوء وثقة ضد تفرقة اليهود بينهم وبين الأمم وتفرقة الرومان بينهم وبين البربر (إذ كان الرومان يعتبرون أن كل من هو ليس رومانيا بربرىٌ)، ولقد كانت المسيحية تنادى بملكوت الله الذى يضم جميع الأجناس ويساوى بين الجميع «حيث ليس يهودى ولا يونانى، وليس عبد ولاحر، ليس ذكر وأنثى[(2)] وأيضا «حيث ليس يونانى ويهودى، ختان وغرلة[(*)] بربرى سكيثى، عبد حر بل المسيح الكل وفى الكل[(3)]. والمقصود بسكيثى هنا رومانى.

إذا كان هذا هو الفكر المسيحى الأصيل، فالسؤال هنا: ماذا حدث فى التاريخ المسيحى؟! سوف ألخص الألفى عام الماضيتين فى ثمانى محطات؛ حتى نستطيع أن نلم بتطور فكر الآخر فى التاريخ المسيحى.

---

(١) إنجيل متى ٥: ٣٨-٤٠ (٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٣: ٢٨.

(*) غرلة تعنى غير مختون والمعنى أن هناك شعوبًا تؤمن بالختان للذكور ومن أهمهم الشعب اليهودى، وشعوب أخرى لا تؤمن بالختان: مثل اليونان والرومان.

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوس ٣: ١١.

المحطة الأولى: كنيسة أورشليم

لقد بدأت هذه الكنيسة منذ فجر المسيحية، وهى الكنيسة التى من أصل يهودى وكانت تعيش فى أورشليم حتى وقوع الخراب على يد «تيطس» القائد الرومانى عام ٧٠م، وكان يقود هذه الكنيسة يعقوب الرسول، وهو أحد الاثنى عشر رسولاً للمسيح وقد قطع هيرودوس الملك رقبته فى وقت مبكر جداً، وتتلخص تعاليم هذه الكنيسة فى أن اختيار الله لشعب اليهود كشعبه المختار هو اختيار نهائى لا تراجع فيه، وأن رفض اليهود للمسيح رفض مؤقت حتى يدخل الأمم إلى الإيمان، وهنا تتكون الكنيسة المسيحية كفرع من الشجرة الأصل والتى هى اليهودية، وتصبح الكنيسة شعب الله المختار وذلك دون مساس بالشعب الأصيل اليهودى، فهو اختيار زمنى مؤقت لتصل رسالة المسيح إلى العالم أجمع، وعندما تصل الرسالة إلى العالم أجمع يعود اليهود الذين تشتتوا فى كل العالم إلى فلسطين تمهيداً للمجىء الثانى للمسيح، وتحدث معركة «هرمجدّون» بين اليهود والعالم كله، وينهزم اليهود فى البداية وهنا يتدخل الله بعناصر طبيعية (بروق ورعود. . . . إلخ) لصالح اليهود وفى هذه المعركة يموت ثلثا العالم، وهنا يأتى السيد المسيح بقوة ويحكم من أورشليم، حيث يتعرف عليه اليهود وتنضم إليهم الكنيسة ويصيران شعباً واحداً مختاراً من الله، وهكذا تظهر فى هذه المدرسة المسيحية العنصرية اليهودية ورفض الآخر بصورة واضحة، ولقد اندثرت هذه المدرسة مع الوقت وانتهت تماما فى القرن الخامس الميلادى على يد القديس أغسطينوس الذي تبنى هذه النظرية في بداية حياته ثم رفضها وفندها عندما نضج مع الأيام، إلا أنها ظهرت بقوة بعد ذلك فى القرن الثامن عشر، حيث كان التعاطف الأوروبى مع اليهود على أشده.

المحطة الثانية: من القرن الثالث حتى الخامس الميلادى

وأهم ما يميز هذه المرحلة هو الحلم الذى تحدث عنه الإمبراطور «قسطنطين» بأنه رأى فى المنام علامة صليب وسمع صوتًا يقول له: «سوف تنتصر بهذه العلامة»، وفى الصباح أعلن أن الدين الرسمى للإمبراطورية هو المسيحية، وهكذا توقف اضطهاد المسيحين بل ما حدث هو العكس، فقد اعتنق المسيحية آلاف من البشر حيث أصبح المسيحى هو مواطنًا من الدرجة الأولى فى الإمبراطورية، وهكذا دخل إلى المسيحية أعداد لا حصر لها فى العالم كله لا تعرف شيئًا عن العقيدة، فقد

كانت الإمبراطورية الرومانية فى ذلك الوقت سيدة العالم وفرضت على العالم وقتئذ ما يسمى بالعولمة الرومانية، فقد ساد القانون الرومانى العالم أجمع، حيث كانت القوات الرومانية على استعداد دائم للوصول إلى أبعد نقطة فى الأرض لسحق أى تمرد. وقد سادت الثقافة اليونانية الرومانية العالم المعروف وقتئذ، وهكذا تحققت العولمة تحت شعار النسر الرومانى، وصارت مواصفات المواطن العالمى هو من يحصل على الجنسية الرومانية ويتحدث اليونانية ويدين بالمسيحية، ويعتقد الكثيرون أن هذا الحلم كان نقطة إيجابية فى صالح المسيحية لكن الكثير من المحللين يعتقدون أنه كان كارثة عظمى عليها، فعندما تحولت المسيحية إلى سياسة دولة عظمى مهيمنة فى مقابل سياسات أخرى أقل اضطرت إلى استخدام السيف وقتل الآخر المختلف وإعطاء امتيازات مادية وحقوق مدنية لمن يعتنقها سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وهنا فقدت المسيحية روحها ومبادئها الحقيقية، وبدأ الطريق ممهداً ومفروشاً بالورود لعصور الظلام.

وبعد اعتناق «قسطنطين» للمسيحية حدثت تطورات مهمة فى التاريخ المسيحى فقد ظهر «أريوس» الذى نادى بأن المسيح إنسان عادى تبناه الله فى المعمودية وتركه عند الصليب، وهنا عقد مجمع نيقية بأمر الإمبراطور «قسطنطين» عام ٣٢٥ م، وكان عدد الحضور ٢٠٤٨ من الآباء الروحيين وكانت أهم قراراته:

* القول بألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشر.
* عدم التصريح لمن يترمل من الكهنة أن يتزوج مرة أخرى.
* إقرار قانونية الكتب المقدسة.
* وضع عشرين قانوناً لسياسة الكنيسة.

وقد تم فض الاجتماع واستبعاد ١٧٣٠ أسقف ثم أعيد بحضور الأعضاء القائلين بالتثليث ولاهوت المسيح وعددهم ٣١٨ فى حضور الإمبراطور «قسطنطين».

ولقد كان لهذا المجمع تأثيره على تطور الفكر المسيحى وقبول الآخر فعندما يتحول الإيمان إلى قوانين مكتوبة بكلمات وحروف وقواعد، هنا يحدث الاختلاف على كلمة هنا أو حرف هناك... إلخ، فالتعريفات كما يقول أرسطو هي تجميد المتحرك، ولذلك كان يفضل أن يعطى أكثر من تعريف للشيء الواحد، ويطالب بالمراجعة دائما ولكن بالتعريفات المصمطة ويتحول قانون الإيمان إلى أداة

للتكفير والتحريم والاستبعاد وينكمش ملكوت الله بمقدار ما يصيغ البشر من كلمات وجمل تحطم كل من لا يتفق معها .

وهكذا توالت المجامع المسكونية ففى عام ٣٨١م كان مجمع القسطنطينية الأول وقد دعا إليه الإمبراطور «ثيؤدوسيوس» الكبير لدحض بدعة «ماكدنيوس» «عدو الروح القدس» . ثم مجمع أفسس الأول ٤٣١م دعا إليه الإمبراطور ثيؤدسيوس الصغير لظهور بدعة نسطور عدو السيدة العذراء أم النور ، وتقرر فيه أن العذراء ولدت بلا خطية لذلك دعيت أم الله ، ثم جاء أهم مجمع فى كل هذه المجامع وهو مجمع خلقدونية عام ٤٥١م وفيه نوقشت طبيعة المسيح هل هى طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، أى أن المسيح له طبيعة إلهية إنسانية وإرادة إلهية إنسانية بلا انفصال ولا افتراق نهائيًا ، أم طبيعتان ومشيئتان ، أى طبيعة ومشيئة إلهية وطبيعة ومشيئة إنسانية ، وفيه اتخذ قرار بأن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية متحدتين دون امتزاج أو خلط ، وكان هذا القرار فى عهد البابا «ليو» ، وعرف هذا المذهب بالمذهب الملكانى ، وقد أيد هذا المجمع قرارات مجمع أفسس الأول ولعن فى هذا المجمع نسطوريوس وديسقورس بطريرك الإسكندرية وأتباعهما .

ورفض ديسقورس الموافقة على هذا القرار فنفاه الإمبراطور بعيدًا عن مصر حيث مات فى منفاه ، وقد ظل «أرثوذكسو مصر حتى الآن يرفضون قرارات هذا المجمع وإن كان البروتستانت عادوا إلى قراراته فى عصر الإصلاح .

وهكذا توالت بعد ذلك المجامع على نفس النسق ، هكذا نرى كيف أن تدخل الأباطرة بسياساتهم فى الفكر المسيحى أخرج هذا الفكر من براءته الأولى فى قبول الآخر - إذ يقول السيد المسيح «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم : **أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم**»[1] - إلى كراهية الأخ بدلاً من محبة العدو بل وتكفيره وتحريمه وطرده . . إلخ ، وهكذا صار الأخ هو الآخر بدلاً أن يصير الآخر هو الأخ .

وفى القرن الخامس حدثت مراجعة لكتابات اللاهوتيين العظماء فى القرون السابقة مثل أوريجانوس وترتليانوس وأغسطينوس وأحرقت كتاباتهم ، وهكذا صار الآخر بالنسبة للمسيحيين هو الخلقدونى وغير الخلقدونى ، الكنيسة البيزنطية والكنيسة المصرية والكنيسة الرومانية ووقعت عمليات التكفير والحرمان المتبادلة .

(*) إنجيل متى ٥ : ٤٣ ، ٤٤ .

المحطة الثالثة: دخول الإسلام إلى مصر فى القرن

السادس وانتشاره حتى القرن التاسع

عند دخول الإسلام إلى مصر كانت الكنيسة ضعيفة ومنقسمة كما رأينا، والإنسان العادى لا يعرف شيئًا عن إيمانه؛ ولذلك لم يحدث أى حوار حقيقى مع الآخر فقد تحولت المسيحية من حركة مرنة إلى مؤسسة جامدة حتى القرن التاسع والعاشر والحادى عشر، حيث قامت حوارات متعددة أبرزها حوارات يحيى بن عدى فى الشام وأبى الفرج الطيب فى العراق وابن العسال فى مصر. . . إلخ.

وظهرت محاولات كثيرة فى هذه الحوارات لقبول الآخر وأبرزها ما قام به أبوالفرج الطيب الذى لم يمانع في حواراته بالاعتراف برسول الإسلام كنبى على أساس أن المسيحية يمكن أن تقبل أن يكون لكل شعب من الشعوب نبى، فالمسيحية تتحدث عن الله المتجسد وليس قضيتها مناقشة الأنبياء فهى تقبل وجود نبى لكل جيل أو شعب، فالذين ليس لهم ناموس هم ناموس لأنفسهم[١]. وفى العصر العباسى كان الإنجيل والقرآن وأرسطو يقرءون معًا فى شوارع بغداد، وهكذا انتشر الإسلام ووصل إلى بلاد فارس (إيران وتركيا) ثم إلى البلقان حتى وصل إلى إسبانيا وذلك بعد انتشاره فى الشرق الأوسط ككل.

وهنا تكونت صورة للإسلام فى الفكر المسيحى على أنه «ضد المسيح»، ومصطلح «ضد المسيح Anti Christ» اصطلاح كتابى أى من الكتاب المقدس عن كل قوة تقوم ضد الحق الكتابى، وأيد هذا الاتجاه الضغوط التى كانت تحدث على المسيحيين فى البلاد الإسلامية، كأهل ذمة وضغوط الضرائب. . . إلخ، ثم أيضًا التفرقة بين العرب المسيحيين والمسلمين من غير العرب، مما دعا الأسرة المسيحية المصرية التى أسلمت أن يذهب عميدها إلى السعودية ويأتى بمكتوب بأنه مسلم ينتسب إلى قبيلة عربية، وذلك حتى يكون مواطنًا من الدرجة الأولى سواء فى مصر أو فى أى بلد فى العالم، وهكذا أصبح المواطن العالمى هو من يدين بالإسلام ويتحدث العربية وينتسب إلى إحدى القبائل العربية.

المحطة الرابعة: الحروب الصليبية

من القرن العاشر حتى الثالث عشر، والتى فيها وضع الباباوات والأمراء

(*) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٢ : ١٤.

والإقطاعيون الإسلامُ كالعدو الحقيقى للمسيحية وأرادوا تطهير بيت المقدس والمقدسات المسيحية من المسلمين، وكانت الحروب التى أخذت الصليب شعاراً لها وهو منها براء وأثرت فى صورة الآخر فى أوروبا حتى اليوم، فصورة المسلم فى الإعلام الأوروبى يرجع تاريخها إلى تراث الحروب الصليبية، ولكن لا بد أن نذكر هنا أن مسيحيى الشرق وقفوا ضد الحروب الصليبية، وكانوا يسمونها فى الشرق «حروب الفرنجة» فالفرنجة أتوا لغزو الشرق، والشرق بمسيحية ومسلمية كانوا يدافعون عن أنفسهم، وهكذا لم يقع مسيحيو الشرق فى هذا الفخ.

ولتمويل الحروب الصليبية ظهرت صكوك الغفران [شراء غفران الله بأموال تدفع لتمويل الحرب]، ومنع قراءة الكتاب المقدس وكانت قراءته مقصورة على الكهنة والرهبان فى الأديرة. مما جعل هؤلاء يرسمون صورة مشوهة للآخر وينسبونها للكتاب المقدس، وهكذا دخل العالم فى ظلمات القرون الوسطى حيث ساوى أولو الأمر بين العلم والسحر، وبين الجهاد والكفر، وأقيمت محاكم التفتيش لمحاربة النيات والضمائر ورفض الآخر وإحراقه حتى الموت. كل هذا تحت ادعاء تقسيم العالم إلى حق وزيف، أبيض وأسود، أنا والآخر.

المحطة الخامسة: الإصلاح الدينى ١٥١٧

هذا الإصلاح الذى بدأه «مارتن لوثر» عندما بدأ فى ترجمة الكتاب المقدس خفية من اللاتينية إلى الألمانية، واكتشف من خلال هذه الترجمة أن الكنيسة أبعد ما تكون عن الكتاب المقدس فكتب ٩٥ احتجاجًا وعلقها على بوابة كاتدرائية وتنبرج، وبالتالى حرمه البابا وهنا ظهرت كنائس الإصلاح لتؤكد على العودة إلى الكتاب المقدس، قبول الآخر، الموت لأجله [لأجل الآخر] حتى لو كان عدواً... إلخ.

إلا أن المصلحين أخطأوا مرات مع من قاوموهم، فمارتن لوثر أمر بإحراق اليهود بعد أن ناصبوه العداء، وجون كالفن أمر بإحراق شخص لم يقبل إصلاحه، إلا أن التجربة فى مجملها كانت تنحو نحو قبول الآخر بصورة واضحة، والعودة إلى الكتاب المقدس.

المحطة السادسة: الإمبراطورية البريطانية

والتى امتدت حتى القرن التاسع عشر لتصبح الإمبراطورية التى لا تغيب عنها

الشمس، وقد حدثت محاولة للعولمة تحت ظلها تشبه إلى حد كبير المحاولة التى تمت مع الإمبراطورية الرومانية. وذكر لنا المؤرخ الشهير «جونسون» فى كتابه «تاريخ اليهود» أن اليهود قد عانوا فى أوروبا وانتقل المئات منهم إلى المسيحية؛ لأن المواطن العالمى فى ذلك الوقت كان هو الذى يتحدث الإنجليزية ويعتنق المسيحية، وكانت المعمودية هى الباب الملكى للتحرير و الحماية. ولذلك عندما حاولت الكنيسة الإنجليزية الدخول إلى مصر أو البلاد العربية على وجه العموم فشلت؛ لأنها ارتبطت بالاستعمار الإنجليزى.

المحطة السابعة: الإرساليات الدينية فى القرن التاسع عشر

فى منتصف القرن التاسع عشر جاءت عدة إرساليات معظمها من أمريكا، ومن أهمها الإرسالية المشيخية (الإنجيلية) فى مصر والشام والسودان، وقد لاقت قبولاً من الشعب العربى لعدة أسباب:

أولاً: لأن أمريكا لم يكن لها خلفية استعمارية، بل كانت قوة صاعدة تتحدث عن حرية الشعوب وحقها فى تحقيق المصير.

ثانيًا: لأن هذه الإرساليات جاءت بتوجه مختلف نحو الآخر، فقد كانت استراتيچيتها هى خدمة المجتمع ككل (المسلم والمسيحى) دون تفرقة.

ثالثًا: أن الطرح اللاهوتى الذى قدمته لا يقتصر على العبادة فقط، لكن كانت تبدأ بمدرسة وبجوارها مستوصف وبينهما كنيسة صغيرة، وهذا الطرح لم يكن موجوداً من قبل.

وبلا شك تعرضت هذه الإرساليات لشكوك كثيرة سواء من المسلمين أو الكنائس التقليدية وذلك لبعض السلبيات التى حدثت، ولكنها نجحت فى النهاية فى تقديم ذاتها كاستراتيچية قبول الآخر، وكما نرى الآن المدارس والمستشفيات والهيئات التى تخدم المجتمع فى تنظيم الأسرة ومحو الأمية... إلخ وكلها تصب فى قبول الآخر بصورة مبتكرة ومتطورة.

عندما هاجر الأوروبيون إلى أمريكا (الأرض الجديدة) تمثلوا بعبور اليهود (شعب الله) القديم للبحر الأحمر، وهكذا صارت أوروبا هى مصر أرض العبودية وأمريكا هى فلسطين أرض الموعد وصار الشعب الأمريكى هو شعب الله المختار، ومن هنا بدأت عنصرية جديدة وموقف عدائى تجاه الآخر المختلف، ثم تمثلوا بالشعب القديم حيث انغلق الشعب اليهودى على نفسه فى أرض فلسطين لبناء الدولة داخليًا، ثم بعد البناء الداخلى بدأ فى الانتشار الخارجى حاملاً رسالة الله للعالم، وهو ما تمثلت به أمريكا فى لاهوتها وفلسفتها. فبعد أن بنت ذاتها داخليًا جاء وقت حمل رسالة الله إلى العالم من الشعب المختار إلى باقى شعوب العالم، وهنا كان لابد من اجتهاد لاهوتى يكمل الصورة ويربط بين فكر شعب الله المختار فى القديم (الشعب اليهودى) وشعب الله المختار الجديد (الشعب الأمريكى المسيحى)، وهنا ظهر «داربى» و«أسكوفيلد» واللذان نظرا للفكرة القديمة التى كانت تتمسك بها كنيسة أورشليم وهى أنه لابد من عودة اليهود إلى فلسطين حتى يمهدوا لعودة المسيح ثانية، وعندما يعود المسيح ثانية، سيعود بقودة لنصرة اليهود على كل أعدائهم وبعد الانتصار يعترف به اليهود ويملك على الأرض ألف عام مع الشعب القديم والجديد، ثم تأتى بعد ذلك الدينونة، وهكذا كان لابد لأمريكا أن تعضد دولة إسرائيل؛ لكى تبقى وتترسخ حتى يمهدوا لمجيء المسيح ثانية، وفى ظل العولمة ظهر المواطن العالمى للمرة الرابعة فى التاريخ البشرى بعد الإمبراطورية الرومانية والأمة الإسلامية والإمبراطورية الإنجليزية، فالمواطن العالمى اليوم هو من يحمل الجنسية الأمريكية أو على الأقل يمتلك Green Card ويتحدث الإنجليزية ويؤمن بالمسيحية ذات الفكر الصهيونى التى تؤيد إسرائيل، وهكذا انقسم العالم إلى أبيض وأسود، خير وشر، ومن هنا جاءت نظرية تصادم الحضارات.

وكما رفع «قسطنطين» الصليب فى القرن الثالث، رفع ريجان ومن بعده بوش الأب ثم الابن، الإنجيل كرمز وعلامة للانتصار والاختلاف وهكذا يأخذ الإنجيل شكل صليب قسطنطين. وفى الإحصاءات الأخيرة نجد أن هناك آلافًا من العالم الثالث وأفريقيا يعتنقون المسيحية و يهاجرون إلى أمريكا، وهنا لابد لنا من وقفة،

فـهل هؤلاء آمنوا برسـالة المسيح فى نقـائهـا وتدريبـهـا للنفس؟ أم آمنوا بصليب قسطنطين وإنجيل ريجان وبوش؟

ومن المظاهر الخطيرة أن اليمين المسيحى بدأ فى مهـاجمة القرآن ونبى الإسلام علانيـة، مثل بات روبرتسون وچورچ فالويل، بل بدأوا فى إرسال زعمـائهم إلى دول العالم الثالث، مدعمين بالهيمنة الأمريكية.

وهؤلاء الزعمـاء يبنون دعـوتهم على فكرة الشفـاء الإلهى للمرض، مع عـودة المسيح إلى فلسطين ليملك لألف عـام حكمًا حـرفيّـا، وهذا ما يجعل الكثير من البسطاء فى العالم يتحمسون لهم، وهكذا نعود مرة أخرى لربط المسيحية بالهيمنة الدولية والسياسة العالمية.

وهذا يضع مسئولية ضخمة على المسيحيين الذين يعيشون المسيحية بمفهومها الصحيح، وهم الأكثرية الصامتة، أولئك الذين يعملون بكد وجهد لأجل الحب والسلام بين البشر الذين يبذلون أنفسهم لأجل الآخر المختلف لا أن يرفعوا في وجهه سيف المعز ولا ذهبه.

وهكذا وبعد ألفى عام مازالت المسيحية تصارع لتحقيق فكر المسيح الذى قال «تحب قريبك كنفسك»(1) وقريبك ليس هو ابن جنسك أو دينك، ولكن من يصنع معك الرحمة.

والمبدأ الذهبى الذى صاغه السيد المسيح «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم»(2).

بعد أن استعرضنا مفهوم الآخر فى الفكر المسيحى عبر التاريخ نأتى إلى الواقع المعاصر:

ثانيا: تحليل السياسة الأمريكية فى ضوء التناقض بين القيم المعلنة والسياسة الواقعية

عندمـا نحلل السيـاسـة الأمـريكيـة سـوف نجـد أن لديهـا نفس المشكلة التى عند الإسلاميين، هى العلاقة المعقدة بين الأفكار والمصطلحات من ناحية، وبين التطبيق على أرض الواقع من ناحية أخرى، والفارق الضخم بين كلمات صانعى السياسة

(1) إنجيل لوقا ١٠ : ٢٧ .

(2) إنجيل متى ٧ : ١٢ .

الأمريكية وأفعالهم، والفجوة الواضحة بين المستوى النظرى الفكرى والمستوى السياسى العملى، والسؤال الذى يلح على الذهن هو: هل ينظر إلى الإسلام كمصدر للخوف والرعب والخطر على الحضارة الغربية؟ أم ينظرون إليه كإضافة إيجابية؟

هل فى رأى صناع السياسة الأمريكية أن هناك توافقًا بين الإسلام والديموقراطية؟، أم أن الحضارة الإسلامية ترفض الديموقراطية وتطبيقها؟ إلى أى مدى يصبح تاريخ كل حضارة سببًا فى زيادة الشق بين الاثنين؟ وعاملاً مهمًا من عوامل الصدام؟ أو العكس هو الصحيح؟ كيف يرى المسلمون الغرب؟ وكيف يرى الغربيون الإسلام؟ والسؤال الأهم: هل نفهم العلاقة بين الاثنين على أساس المشاكل السياسية الحالية المعاصرة بين الإسلام والغرب؟ أم من الأفضل تحليل هذه العلاقة على الأساس الحضارى والتاريخى للاثنين؟

ترى: ما دور الإعلام الأمريكى الرسمى والثقافة الأمريكية بوجه عام فى تقديم الإسلام إلى العالم الغربى؟ ما دور الكونجرس؟ ما دور إسرائيل؟ ما دور الغربيين الذين يفهمون الإسلام جيداً ويتعاطفون مع قضاياه ويؤيدون الموقف العربى فى الشرق الأوسط فى توجيه السياسة الأمريكية وفى توجيه الرأى العام الأمريكى؟ وهل المفاهيم الشعبية للإسلام فى أمريكا هى التى توجه سياستها الخارجية؟ لايمكن لنا أن نفهم السياسة الخارجية الأمريكية وتوجهها، سواء للحوار أو الصدام، بدون فهم خلفيات هذه السياسة وما يؤثر فيها وعليها. ولنأخذ مثالاً إدارتى كلينتون وبوش الأب، لقد أعلنا أنهما يرفضان فكرة صراع الحضارات ويقدران إسهام الإسلام فى الحضارة الإنسانية العامة، وفى قدرة هذه الحضارة على الإسهام فى التطور الإنسانى، ويؤكدان على أن الولايات المتحدة الأمريكية بمثابة كوبرى بين أنظمة روحية مختلفة يثرى بعضها بعضًا لأجل إنسانية أفضل.

وقد بنت الإدارتان هذه الرؤية على عدة أسس

١ ـ عدم الرغبة فى إظهار كراهية لأى نظام إسلامى؛ حتى لاتضيف غشاوة جديدة على العلاقة مع الإسلام، فهم لايريدون تكرار الخطأ الذى حدث فى موقف أمريكا مع ثورة إيران الإسلامية.

٢ ـ عدم الرغبة فى تعضيد نشاط أى جماعات إسلامية ؛ حتى لاتتهم أمريكا بأنها تقوم بصنع انقلابات ضد الأنظمة القائمة .

٣ ـ إن الإدارتين أعلنتا بأن الإسلام السياسى ضد الديموقراطية بطبيعته ؛ ولذلك هم يرفضون التدخل فى الشئون الداخلية للدول الإسلامية(*) .

والغريب أن الإدارتين وهما يعلنان ذلك كان هناك تناقض واضح بين ما يقولانه وبين تحركهم الفعلى ، فلقد أيدت الإدارتان اللجوء السياسى لقادة وأمراء الجماعات الإسلامية لأمريكا ، بل وشجعتهم بقوة ، ولقد وقفت أمريكا ضد بعض الحكومات الإسلامية العلمانية وأيدت الجماعات الإسلامية فيها من خلال المخابرات المركزية الأمريكية ، واعتبرت أن لهم رؤية سياسية متميزة ، وخاصة عندما كانوا يحاربون الاتحاد السوفييتى أو الدول الشيوعية أو اليسارية بوجه عام . ولقد قسمت الولايات المتحدة الدول الإسلامية إلى قسمين رئيسيين :

الأول: هو الذى يقدم صورة معاصرة للإسلام ويؤيد السياسة الأمريكية ، مثل : السعودية ومصر وتونس وتركيا وپاكستان وماليزيا وإندونيسيا .

الثانى: هو الذى لايفرق بين ما هو محلى وما هو دولى ، مثل : آية الله خمينى فى إيران ، والملا محمد عمر فى أفغانستان .

ولاشك أن هناك إشكالية ضخمة فى السياسة الأمريكية ، وهى الفارق بين الأخلاقيات التى يعلنون تبنيهم لها وبين ممارساتهم السياسة على أرض الواقع ، بين المبادئ والمصالح ، ويعتبر معظم الأمريكيين أنفسهم أمة عظيمة ومتفوقة فى السياسة والأخلاق «سراج على جبل» أو «مدينة على جبل» ، وهو تعبير مأخوذ من الكتاب المقدس عن الأمة التى تطبق المثل الأخلاقية ، بل ويعتبرون أن لهم رسالة إلهية لتوصيل هذه الأخلاقيات إلى جميع الأمم الأخرى فى العالم ؛ ولذلك فمشكلة أمريكا الكبرى فى سياستها الخارجية مع الدول الإسلامية أو فى قضية الحوار هى : البعد الشاسع بين السياسة الواقعية والهدف الأخلاقى الذى تؤمن بأنها وجدت

(*) هذا الجزء مأخوذ من كتاب «أمريكا والإسلام السياسى ـ صدام حضارات أم صدام توجهات» ص٣ تأليف : فواز . أ. جرجس ـ وهو مكتوب باللغة الإنجليزية .

لأجل تحقيقه فى العالم، والصراع بين هذين الاتجاهين يجد جذوره فى الشخصية القومية الأمريكية والذى تأسس مع موقعها الجغرافى وخبرتها التاريخية ونظامها الاقتصادى وثقافتها السياسية والقيم، فعندما جاءوا من أوروبا عابرين المحيط كمهاجرين، تمثلوا بخروج بنى إسرائيل من مصر لتأسيس دولة الله، وقسموا تاريخهم إلى جزئين: **الأول:** وهو تأسيس الدولة بالعزلة والانفراد بعيداً عن العالم، **والثانى:** الخروج إلى العالم لإرساء المبادئ الأخلاقية فى العالم ككل.

هكذا تكونت الشخصية القومية الأمريكية من بعدين أساسيين هما: العزلة والانفرادية فى وقت السلام، والنشاط الأخلاقى الخارجى فى وقت الحرب، لكن عند التطبيق، نستطيع أن نلاحظ تناقضًا لا لبس فيه؛ فمن أمثلة هذا التناقض أن أمريكا تصر على أن لاتتعامل مع دولة لاتطبق الديموقراطية، وتعتبر أن الديموقراطية قيمة عليا تبشر بها الدول الأخرى، مثل: الحرية الفردية وحقوق الإنسان. . . إلخ. ومع ذلك نرى الديموقراطية يضحى بها على مذبح السياسة الواقعية، كما حدث فى كوسوفا وصربيا وكما يحدث فى العراق وفلسطين، وفى أحيان أخرى يبررون حروبهم بأنهم يحاولون جعل العالم آمنًا لأجل تطبيق الديموقراطية.

ثالثا: دور الحضارة والتاريخ فى الحوار

لاشك أن الحضارة الأمريكية تصورت شكلاً محددًا للإسلام على طول التاريخ، هذا الشكل تكون من معان ورموز وقيم إيمانية وتوجهات وأسلوب حياة وعادات. . . إلخ. ومنذ القرن السابع عشر تعمق هذا المفهوم وانتشر؛ بسبب توسعات الدولة العثمانية والأتراك فى أوروبا، ومفهوم معظم الأمريكيين عن المسلمين من الناحية الحضارية يتلخص فى أن المسلمين خطرون لايمكن الوثوق بهم غير ديموقراطيين برابرة.

وقد استمر هذا بشكل عام حتى بداية عام ١٩٨٠ عندما نشر أحد الصحفيين فى صحيفة نيويورك تايمز مقالاً بعنوان «التعصب ضد العرب (المسلمين)»، فبعد قيام الثورة الإيرانية ١٩٧٩ ، نظر إلى الإسلام كحضارة معادية بربرية ضد الديموقراطية وحرية الفرد وحقوق الإنسان، وبسبب هذه النظرة إلى إيران عمم هذا المنطق على معظم الدول العربية والإسلامية، فقد بدأت هذه الكراهية تمتد وتتعمق فى الشعب

الأمريكى، وفى إحصائية بين الأمريكيين عام ١٩٨٠ قال ٤٤٪ : إن المسلمين برابرة ومتوحشون، وقال ٤٩٪ : إنهم دمويون وقذرون.

وأظهرت الدراسات منذ ١٩٨١ أن معظم الأمريكيين ينظرون إلى العرب على أنهم أغنياء جدًا وبلا أخلاق أو بدويون صحراويون ، وفى أثناء حرب الخليج عام ١٩٩٠ أظهر الأمريكيون كراهية ضخمة لكل ماهو عربى ومسلم، حتى أولئك الذين كانوا ينتمون إلى بلاد وقفت بجانب أمريكا فى حربها ضد العراق، وقد وصلت جرائم الكراهية ضد المسلمين إلى مستوى عال أثناء أزمة الخليج، وقد دفع هذا الرئيس بوش الأب رئيس أمريكا حينئذ أن يعلن رفضه للعنف الحادث ضد العرب والمسلمين الأمريكيين ودعا الشعب الأمريكى لكى يحترم الاختلافات العرقية والدينية، وفى عام ١٩٩٠ وجد أن معظم الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين متطرفون دينيًا وأن الإسلام فى أساسه ضد الديموقراطية.

وفى عام ١٩٩٤ قام معهد جالوب بعمل إحصائية بين المثقفين والسياسيين الأمريكيين أثبتت أن ٣٦٪ من المثقفين يعتقدون أن انتشار الإسلام المتطرف فى أمريكا سوف يحدث رعبًا حقيقيًا، وعندما سئل القادة السياسيون السؤال نفسه فقد كانت النسبة ٥٢٪، وقالوا : إن انتشار الإسلام يعتبر خطرًا ورعبًا على الحضارة الأمريكية، على العموم ظهر الإسلام رقم ثلاثة بين ثمانية مصادر للخطر فى الإحصائية، هذا التوجه يوضح لنا التراث الحضارى والتاريخى، والذى ربما يرجع إلى الحروب الصليبية والتوسعات الإمبراطورية للعثمانيين . . . إلخ.

ونحن نجد فى قلب الفكر الأمريكى أن الإسلام ليس فقط مصدرًا للخوف؛ بسبب التطرف الذى فيه - حسب مفهومهم -، ولكن أيضًا لأنه يخلط بين الدين والسياسة وهذا يتحدى مفاهيم أصيلة فى الحضارة الأمريكية، والتى تفصل بين الدين والسياسة، ولكن هذا لايعنى أنه ليس للدين دورٌ فى المجتمع أو السياسة الأمريكية مثل باقى الدول الصناعية الغربية، بل على العكس فالدين يلعب دورًا مركزيًا فى الحضارة الأمريكية، على العموم فالنظرة الأمريكية للدين أنه أمر فردى وليس أسلوب حياة مجتمع؛ ولذلك فهم يعتقدون أن الإسلام يحاول إعادة هيكلة الحياة الأمريكية بأسلوب مختلف يهدد حضارتهم.

رابعا: دور السياسة والأمن فى الحوار

ربما يعتبر نوعًا من عدم الدقة فى البحث إرجاع الموقف الأمريكى من الإسلاميين إلى الناحية الحضارية والتاريخية فقط، فمن العوامل الضخمة التى تتحكم فى العلاقة والحوار بين الإسلام والغرب، عامل مهم هو الدور السياسى والأمنى فى الوقت الحاضر، فبالنظر إلى الاستراتيجية الأمريكية على مسرح الأحداث الإسرائيلية الفلسطينية، وبوضع حرب الخليج عام ١٩٩١م فى الاعتبارجنبًا إلي جنب مع حكومات الشرق الأوسط الموالية لأمريكا وسقوط الاتحاد السوفييتى، مع تهديد التطرف الإسلامى وإمكانية تصنيع الأسلحة النووية فى المنطقة ، لاشك أن كل هذا معًا يؤثر فى إمكانية الحوار أو رفضه؛ حيث يرتبط الحوار من عدمه بالتوجه السياسى وعامل الأمن.

ولقد كانت الثورات القومية فى القرن الماضى إنذارًا بمقاومة الحضارة الغربية والتى كان يمثلها الاستعمار الغربى، وكانت الثورات تقوم على مبادئ وطنية قومية، ولقد أظهرت السياسة الخارجية الأمريكية بكل وضوح كراهيتها للثورات وخاصة التى تبث مبادئ تختلف عن مبادئ الثورة الأمريكية، وهى الليبرالية والديموقراطية الرأسمالية، ولقد استمرت السياسة الأمريكية فى عدم محاولة بذل أى جهد لفهم خلفيات هذه الثورات أو حضارتها أو ثقافتها وقيمها، ولقد وضح هذا فى صورة لا تقبل اللبس أثناء الحرب الباردة ضد الحكومات الشيوعية والقومية، واستمرت بعد ذلك مع ورثتهم من الثورات الإسلامية.

فى الواقع ، أن صناع القرار فى الولايات المتحدة يخافون، بل ويرتعبون عندما تقوم ثورة إسلامية فى بلد ما، وما يهم الولايات المتحدة هنا كأولوية مطلقة هو استقرار وأمن الدول المنتجة للبترول، والدول الداخلة فى عملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية، ولا زال أصحاب القرار فى السياسة الخارجية يشيرون إلى تجربة الثورة الإسلامية فى إيران، حيث حاول رجالها وفقهاؤها تصدير الثورة إلى الدول المجاورة، ولقد أثرت الثورة الإسلامية فى إيران فى تشكيل فكر واشنطن بأن الثورة الإسلامية ثورة عنيفة ضد الديموقراطية وضد أمريكا بطبيعتها.

بالإضافة إلى كل ذلك، فإن هناك خلطًا واضحًا فى الذهن الأمريكى بين الحكومات الإسلامية مثل التى فى إيران والإرهاب، رغم إدانة هذه الحكومات للإرهاب بكل صوره، والخوف الذى يسيطر عليهم اليوم هو أن يمتلك هؤلاء

الإرهابيون أسلحة نووية إسلامية كما قال ريجان : « أنا لا أعتقد أنكم تقدرون مدى أهمية ما يمكن أن يحدث الإسلام الأصولى فى القرن القادم، خاصة، إذا وضعوا أيديهم ـ وهذا ممكن ـ على أسلحة نووية وكيماوية، وهذا يعنى أنهم سوف يستخدمون هذه الأسلحة ضد أعدائهم» .

ولقد كان لربط الإسلام بالإرهاب عامل ضخم فى تشويه صورة المسلمين فى الولايات المتحدة، هذا الأمر دفعهم دفعًا لاتهام المسلمين عام ١٩٩٥ فى حادث تفجير مركز التجارة فى أوكلاهوما سيتى؛ مما جعل البوليس يقوم بالقبض على بعض العرب المسلمين ومطاردة البعض الآخر فى أعمالهم وفى الشوارع . . . إلخ وسارت موجة اضطهاد ضدهم، حتى اكتشف أن الذى قام بالتفجير شاب أمريكى أصولى يمينى متطرف يدعى «ماكفى» .

هذا التوجه يمكن فهمه أيضًا بالتبديل المنهجى للخوف العالمى للولايات المتحدة، فلقد استبدل الخوف من الاتحاد السوفييتى بالخوف من الإسلام، فلقد شهد عام ١٩٩١ ليس فقط الانهيار السياسى للاتحاد السوفييتى لكن أيضًا صعود القوة الإسلامية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ولقد كان الصراع بين أمريكا والاتحاد السوفييتى يصور على أنه صراع بين الخير والشر، وبعد سقوط الاتحاد السوفييتى كان لابد من البحث عن بديل جديد لمحاربته؛ لكى يملأ الفراغ الذى تركه فجأة الاتحاد السوفييتى .

وهذا ما عبرت عنه جريدة «نيويورك تايمز» عام ١٩٩١ بالقول : «يوجد خوف وحيد فى العقل الأمريكى هو الحرب الإسلامية المقدسة»، ولقد حددت الاستراتيچية الأمريكية الدول المارقة وهى : العراق، إيران، السودان، وبعض الجماعات الإسلامية مثل : الجهاد وحزب الله . . . إلخ، واعتبرت أن هؤلاء هم عوامل عدم الاستقرار والأمن فى الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الدول المارقة تأوى الإرهاب وتعضد الإرهابيين بالأسلحة، وتتبنى الأيديولوچية الإسلامية بتعضيدها للمتطرفين الإسلاميين ماديًا ومعنويًا، وكل من يقف ضد عملية السلام مع إسرائيل ويرفضون أمريكا بكل قيمها معتبرين إياها الشيطان الأكبر ويرفضون الحكومات العربية والإسلامية التى تتبع السياسة الأمريكية فى المنطقة .

إلا أن هناك تيارًا مهمًا فى أمريكا يسير بالتوازى مع التيار الذى تبنى فكرة الخوف

سواء من الشيوعية أو الإسلام، ذلك التيار الذى يعتبر أن الإسلام تحدّ وليس مصدراً للخوف، البعض من هؤلاء يعتبر أن الإسلاميين يمكن أن يقوموا بإصلاح الإسلام كما قام البروتستانت بإصلاح الكنيسة منذ خمسمائة عام.

واليوم فإن الحكومات التى تؤيد أمريكا فى الشرق الأوسط تعيش أزمة حقيقية؛ إذ فشلت هذه الحكومات فى بناء نظام شرعى قانونى شعبى، حتى إنه لو أجريت انتخابات حرة فى أى بلد منها لاختار الشعب الإسلاميين، بل إنه عندما تقوم هذه الحكومات ببعض الإصلاحات السياسية والاقتصادية حسب توصيات أمريكا تأتى بنتيجة عكسية، فالإسلاميون لهم شعبية ضخمة بين الناس ولهم مهارة وحنكة فى الانتخابات، ومن هنا تقوم أمريكا بتأييد هذه الحكومات التى تقوم بانتخابات صورية وتستبعد الإسلاميين، بحجة أنه لو أمسك الإسلاميون بالسلطة فسوف ينقلبون على الديموقراطية ويرفضون إجراء أية انتخابات. ولايمكن فهم هذا الموقف الأمريكى من الإسلاميين السياسيين دون الأخذ فى الاعتبار موقف إسرائيل وتركيا ومصر والعربية السعودية، وهم أهم أربعة أصدقاء لأمريكا فى المنطقة.

وعكس هذا التيار الأمريكى المعتدل، هناك بعض الأمريكيين الذين أيدوا وجهة النظر القائلة بأن الإسلاميين ظهروا كعدو استراتيچى كبديل للشيوعية، بل هم سيكونون أكثر أثراً من الشيوعيين؛ لأن تحديهم للغرب موحى به من الله، وبعض مفكرى هذا الاتجاه يعتقدون أن الحضارة الأمريكية هى حضارة استعمارية كارهة للإسلام، وهكذا من المستحيل إقامة أى نوع من الحوار بينهما، كل هذه التيارات تتفاعل معًا فى صنع الاستراتيچية الأمريكية وتبرز سؤالاً مهمًا هو: من يتحاور مع من؟ خاصة ونحن نرى أن أمريكا ليست اتجاها واحداً بل عدة اتجاهات، والإسلاميون أيضًا عدة اتجاهات، فمن يحاور من؟ بهذا نستطيع أن ندرك أن السياسة والاهتمام بالأمن له التأثير الأكبر فى الحوار من التاريخ والحضارة.

خامسا: دور المثقفين الأمريكيين فى الموقف من الحوار

لاشك أن المؤسسات الأكاديمية والمناخ الثقافى بوجه عام فى أمريكا له تأثيره الواضح والعميق فى أى قرار يُتخذ، بل وله تأثيره العميق فى توجيه الرأى العام، وأيضًا له

احترامه فى جميع الأوساط، وهذا بالطبع عكس ما يحدث فى العالم الثالث، حيث يسخر السياسيون - فى مرات كثيرة - من المثقفين، وبالعودة إلى الماضى القريب نتذكر أنه عندما اختلف الرئيس السادات (١٩٧٠ - ١٩٨١) مع المثقفين المصريين كان يطلق عليهم بسخرية فى خطبه لقب «الأفندية» أو «أصحاب الياقات البيضاء».

فى هذا الجزء سوف نحاول أن نرى الآراء المتباينة للأكاديميين والمثقفين تجاه الحوار مع الإسلام بشكل عام والإسلام السياسى بوجه خاص، وينقسم الأكاديميون والمثقفون إلى معسكرين واضحين: الأول: يرفض تمامًا فكرة الحوار، ويعتبر أن العلاقة هى علاقة صراع، ولافائدة ترجى من الحوار، أما المعسكر الآخر فهو يتبنى وجهة نظر الحوار، ويعتبر أنها الوسيلة الوحيدة لفهم الإسلام، والاتجاهان يقدمان أنفسهما للشعب الأمريكى، بصورة مقنعة وواضحة، وأيضًا يقدمان أنفسهما لصناع القرار السياسى، ونحن هنا سنحاول عرض وجهة النظر لكل منهما.

دور المثقفين فى الحوار الأمريكى

يناقش الفريقان أمرين، فى منتهى الأهمية: الأول: هو الديموقراطية فى المجتمعات الإسلامية، وهل تعتبر الديموقراطية الأمريكية نموذجًا لكل ديموقراطيات العالم؟ ورغم اختلاف الإجابة إلا أن الفريقين يتفقان على أهمية الديموقراطية، أما الأمر الثانى فهو أجندة الإسلام السياسى، والذى عندما يصل إلى الحكم سوف يتبنى سياسة مضادة تمامًا للغرب. والقضية هنا أن المعسكرين يقدمان إجابتين مختلفتين تمام الاختلاف فى موضوع الحوار، لكنهما يستخدمان مصطلحات وتعبيرات الحرب الباردة، فالاثنان يعتبران أن الإسلام قد حل محل الشيوعية سواء «العدو الجديد» عند أصحاب فكرة الصدام أو «التحدى» عند أصحاب الحوار.

أولاً: الإسلام «العدو الجديد»

تَبَنّى هذه النظرة أصحاب نظرية صدام الحضارات، وهؤلاء يعتبرون أنه

بالممارسة نستطيع أن نكتشف أن الإسلام والديموقراطية لا يلتقيان، فالإسلام فى هذه النظرية يشبه إلى حد كبير الشيوعية، فالإسلام الأصولى بطبيعته ضد الديموقراطية، وفى عمقه ضد الغرب وحضارته ككل، فمثلاً لخص برنارد لويس هذه الفكرة بالقول: «رجل واحد يصوت لمرة واحدة وللأبد»، ويعتبر لويس وكيبل أن الديموقراطية والإسلام - سواء كان أصوليًا أو غير أصولى - لا يتفقان.

يقول صموئيل هنتنجتون: إن الإسلام بطبيعته غير ديموقراطى وأن البلد العربى الوحيد الذى طبق الديموقراطية هو لبنان المسيحى، ولحظة أن وصل المسلمون إلى الحكم - على حد قول هنتنجتون - انهارت الديموقراطية. ويعتبر هنتنجتون ومارتن إندك أن تأثير الإسلام على الحكم فى البلاد العربية أضعف كثيرًا من الديموقراطية وليس العكس، أما عاموس بيرلمتر فيقول: «إن الطبيعة الأصلية للإسلام ليست مقاومة الديموقراطية لكنها كراهية طبيعية للحضارة وللديموقراطية السياسية، وأن الإسلام حركة ثورية مسلحة مثل البلشفية والنازية فى الماضى، وأنه من المستحيل صنع مصالحة بينه وبين المسيحية الغربية العلمانية»، ويعتقد هؤلاء المثقفون أيضًا أن الصراع بين الإسلام والغرب ليس فقط بسبب سياسى أو اقتصادى بل هو صدام حضارى، فالصدام ليس بسبب نظريات اقتصادية أو سياسية مختلف عليها وعلى أسلوب تطبيقها، ولكن أساس الصدام اليوم هو بين البشر والذى يقسمهم هو الحضارة.

وهذا الصدام - كما يقول هنتنجتون - سوف يفصل الغرب عن كل ما هو ليس بغربى، وعلى الجانبين الغرب والإسلام أن يعتبرا أن الصدام لا مهرب منه، وهو يعتقد أن الحرب العالمية القادمة ستكون بين الحضارات، ومن قبل هنتنجتون بفترة طويلة نبه برنارد لويس قائلاً: «إن الصراع الحالى ليس أقل من صراع بين الحضارات، ربما نراه ثقافيًا لكنه بالتأكيد هو رد فعل تاريخى لتراثنا اليهودى المسيحى، ولحاضرنا العلمانى وموقف العالم حولنا من هذين البعدين».

ولكى يؤيد هنتنجتون هذه المقولة تحدث عن مواجهة الجيش الأمريكى مع إيران وثلاث حكومات عربية على الأقل تعضد الإرهاب الإسلامى؛ وطبقًا لهذا فإن الحرب التى دارت بين العرب المسلمين والغرب فى حرب الخليج عام ١٩٩١، كان الإسلاميون الأصوليون فى العالم كله يؤيدون العراق وصدام حسين أكثر من الغرب الذى كان يعضد حكومات الكويت والسعودية.

وطبقًا لهذا التحليل فإن مؤيدى الصراع يضعون توازيًا بين الرعب الشيوعى والإسلام، فالأصوليون يتحركون بكراهية عميقة نحو الغرب، وعلى حد قول مورتمر ذيو كرمان Mortimer Zuckerman: «نحن على خط المواجهة فى صراع يعود إلى مئات السنين. إن المتطرفين المسلحين يريدون أن يلقوا الحضارة الغربية بقيمها ومبادئها فى البحر كما حدث قبلاً مع الصليبيين».

بهذا نرى أن الإسلام قد حل محل الشيوعية كعامل أساسى استراتيجى لرعب ما بعد الحرب الباردة، فيقول دانيال پايپس: «الرعب الجديد شر كإمبراطورية الشر القديمة»، ويضيف: «إن الإسلام الأصولى يتحدى الغرب أكثر كثيراً من التحدى الشيوعى القديم، فقد كان الشيوعيون ضد سياساتنا، أما الإسلاميون فهم ضد توجهنا العام فى الحياة، حتى أسلوب لبسنا لثيابنا أو طريقة صلاتنا وعبادتنا . . . إلخ»[1]، وفى كثير من كتاباته لم يفرق پايپس بين الإسلام كدين والإسلام السياسى كنظرية؛ لذلك فهو يعتقد أن الإسلام هو عكس الغرب، هذا ما دعا والتر ماكدوجال المساعد الأسبق لريتشارد نيكسون إلى القول: «إنه يجب أن نتعاون مع روسيا كحضارة غربية مسيحية ضد العدو المشترك، العالم الإسلامى».

ويضيف هؤلاء المحللون أن هناك تعاونًا ضخمًا بين الإسلاميين فى العالم ككل، ويضعون إيران فى قلب هذا التعاون، فهى نموذج للأمل المسيانى[2] العقيدى والتدريب على كراهية الغرب الليبرالى، ويعتقد البعض منهم أن الثورة الإسلامية مثل كرة الثلج التى تكبر حتى تصل إلى مايسمى «الأمة» أو الاتحاد معًا تحت شعار «الجهاد»، وعلى حد قول جوناثان باريس: « إنه لكى يتحقق كل هذا فإن ما تحتاجه هو قيادة عربية إسلامية أصولية لها كارزمة، فإذا ظهر ناصر جديد مع لحية سوف يوحد المسلمين جميعًا»، ويعتقد باريس أن الجيش الإسلامى على استعداد للعمل والجهاد فى لحظة أن يتوحد تحت راية قائد، وهنا يحذر باريس قائلاً: « إن أربعة أخماس العالم من غير المسلمين» وهكذا يقدم الإسلام، ليس كعدو للغرب فقط لكنه أيضًا كعدو للعالم أجمع.

---

(١) كتاب پايپس «نفس الاختلاف» ص ٦٤.

(٢) انتظار «المسيا» المخلص عند اليهود، وهى نفس فكرة انتظار المهدى عند الشيعة، وانتظار عودة المسيح ثانية عند المسيحيين، وذلك لملء الأرض بالعدل والسلام.

• توصيات المثقفين الذين يدعون للصدام

١ ـ دعوة لاستيقاظ الغرب؛ لكى يدرك الخطر الذى يهددهم من الإسلام والمسلمين.

٢ ـ أن الإسلام سوف يغزو أمريكا من خلال المهاجرين المسلمين والزوار؛ لذلك هم يدعون الحكومة الأمريكية لمنع المزيد من هجرة المسلمين إلى أمريكا، ووضع المسلمين الموجودين فى أمريكا تحت المراقبة باعتبارهم متطرفين.

٣ ـ أن تقوم الولايات المتحدة بتحرك استراتيجى ـ كما حدث ضد الاتحاد السوفييتى من قبل ـ لإجهاض هذه الدعوة المسيانية لهزيمة الغرب، بل يجب محاربتهم وهزيمتهم.

٤ ـ بما أن الإسلام لايتوافق مع الديموقراطية؛ لذلك فالضغط على الحكومات العربية والإسلامية لتبنى حقوق الإنسان والديموقراطية سوف يأتى بنتيجة عكسية؛ لأنه سيقوم بإضعاف الحكومات القائمة والموالية للولايات المتحدة الأمريكية والبديل لها هو الديكتاتورية، وهكذا فالديموقراطية فى الشرق الأوسط رفاهية لايقدرون عليها؛ لأنها سوف تعطى الفرصة لغير الديموقراطيين أن يقفزوا للحكم، فإذا تُرك الناس لاختيارهم ولصندوق الانتخابات؛ لاختار الناس المتطرفين من الإسلاميين ليحكموهم، وهذا ما حدث فى الجزائر؛ ولذلك تجد أن الإسلاميين ينادون دائمًا بحرية الانتخابات.

ولذلك فهم يلخصون رأيهم فيما يلى

أ ـ لقد أعطى للعرب والمسلمين فرصًا عدة للاختيار الحر خلال صندوق الانتخابات لكنهم فشلوا فى اختيار حكومة ديموقراطية ليبرالية.

ب ـ الإسلام السياسى بطبيعته ضد الديموقراطية وضد الغرب.

ج ـ بالخلاف مع جميع الشعوب، فالمسلمون ليسوا جاهزين الآن للديموقراطية.

د ـ تأييد وتعضيد حكومات عربية وإسلامية لها سلطات مطلقة هو الشر الأقل، وهكذا على الولايات المتحدة مساندة مثل هذه الحكومات.

وعلى الرغم من أن مؤيدى الصدام يعلمون أن هذه الحكومات تعامل شعوبها بطريقة رديئة، لكنهم يؤمنون أن هذه الحكومات تساعد فى تحييد الإسلام السياسى.

وهناك البعض الذى يدعو الولايات المتحدة إلى أن تقوم بمعاونة هذه الحكومات فى حربها ضد الإسلاميين[1] ، وهكذا فإن هؤلاء لايهتمون كثيراً بحقوق الإنسان فمن وجهة نظرهم أن الصراع اليوم فى الشرق الأوسط، هو فى حقيقته بين الديموقراطية الغربية وأصدقائهم الحكام العلمانيين فى المنطقة من ناحية، وبين الإسلاميين من الناحية الأخرى.

ثانيًا: الإسلام «التحدى الجديد»

ترفض تمامًا هذه الجماعة من المثقفين فكرة صدام الحضارات، ويرفضون تصوير المسلمين على أنهم ضد الغرب أو ضد الديموقراطية، وهم يفرقون بين تحرك الدول العربية الإسلامية وبين الأقلية المتطرفة، ويقود هذه الحركة اثنان من مثقفى أمريكا هما: «چون إسپوزيتو» و«ليون ت. هاور» ويعبران بالقول: «إن الميديا تركز كثيراً على حركة المتطرفين من الإسلاميين، وتتجاهل الحركة السياسية الحديثة فى الدول العربية والإسلامية، وهذه الحركة من المثقفين تعتقد أنه - سواء فى الماضى أو فى الحاضر - فإن النظرة الغربية للإسلام كرعب أو خوف هى نظرة غير واقعية وغير منصفة، والتاريخ الإسلامى برىء منها[2]. وهم يعتقدون أن هناك حكومات كثيرة تتبنى الديموقراطية لكن بطريقة متدرجة؛ حتى لايفلت الزمام، ويقولون: إن هناك ديموقراطية فعلية حتى تحت الحكومات التى لها سلطات خاصة.

وهؤلاء يعتقدون أن التطرف الإسلامى نتج عن ظروف سياسية واقتصادية، ولها جذور محلية، وأن معظم الجماعات الإسلامية جاءت نتيجة الأزمات الاقتصادية وعدم وجود حرية سياسية، ويقولون إن هناك مبالغة شديدة بالقول إن المسلمين والعرب ضد الحضارة الغربية، ويستشهدون بأن هناك الملايين من العرب والمسلمين يتبنون الحياة الغربية فى نظام حياتهم اليومى سواء فى لبسهم أو طعامهم أو توجهاتهم.. إلخ. فهم لايكرهون الغرب كما يقول الداعون للصدام، بل هم معجبون بالتكنولوچيا الغربية ومفاهيم الحرية واحترام حقوق الإنسان... إلخ.

---

(١) سيمبوزيوم «استراتيچية أمريكية تجاه الإسلام السياسى»، ص٣٨.

(٢) چون إسپوزيتو «التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة؟» ترجمة: د. قاسم عبده قاسم - من منشورات دار الشروق.

إن ما يرفضه هؤلاء المثقفون هو السياسة الغربية التى تظهر غزواً للمجتمعات الإسلامية، وأحيانًا تساند فساد بعض الحكومات العربية والإسلامية؛ لأنها تؤيد السياسة الأمريكية، بل وينتقدون المساندة غير الطبيعية لإسرائيل فى المنطقة، والتاريخ الطويل للغزو الأمريكى سواء بالجيش أو الاقتصاد فى المنطقة، ويعلنون أن التأييد الأمريكى غير المتوازن لإسرائيل على مدى سنوات طويلة بنى جداراً من التحفظ على السياسة الأمريكية فى المنطقة، وتبنى أمريكا لمثل هذه السياسات خلق نوعًا من الشك فى نوايا الولايات المتحدة، وإحساسًا بأن شعوب المنطقة غير قادرة على تقرير مصيرها، ومن منطلق إحساس هذه الشعوب بأنهم ضحية لهذه السياسات الغربية، بدأ العرب والمسلمون يلومون الآخرين على ضعف اقتصادهم وسياساتهم، ومن هنا كان رفض هذه الشعوب للقيم الغربية، وإعلانهم أن الغرب يتحدث عن حقوق الإنسان والديموقراطية؛ ليفرض القيم الغربية على الدول الإسلامية والعالم الثالث.

ويرجع هذا الفريق غياب الديموقراطية فى البلاد العربية والإسلامية لعدة أسباب يمكن أن تكون تاريخية أو حضارية أو عقائدية، وأحيانًا يرجعون هذا أيضًا لماضى الاستعمار فى المنطقة، والذى أرسى حكومات أوتوقراطية مؤيدة من الغرب، وهو الثمن الذى يدفع بسبب الصراع العربى الإسرائيلى.

وهكذا فى النهاية يقولون: إن الإسلام صعب علينا أن نفهمه أكثر، ونحاول أن نفهم أتباعه الحضارة الغربية.

• توصيات مؤيدى الحوار مع الإسلام

١ ـ أنه لاخطر على الغرب من الإسلام والمسلمين.

٢ ـ إن الإسلاميين اليوم يعتبرون تحديًا وليس رعبًا على الغرب، بل أيضًا وجود الأصوليين يعتبر فرصة وليس تحديًا، فهى فرصة لإعادة تشكيل الفكر من خلال الحوار.

٣ ـ على الحكومة الأمريكية أن تقبل الاختلاف بين الغرب المسيحى والإسلام، وتتعامل معه بشكل ديموقراطى؛ ليتعاونا معًا لأجل إنسانية أفضل فى المستقبل.

٤ ـ إن وصول الإسلاميين للحكم لايعتبر مشكلة؛ لأنهم سوف يتعاملون مع السياسة الدولية بصورة أفضل كمسئولين، وهو ما حدث فى إيران بعد فترة من الوقت، وسوف يتعاملون مع شعوبهم بصورة أفضل؛ إذ هم يعيشون فى عصر العولمة الذى سقطت فيه المسافات بين الدول.

٥ ـ يجب التفريق بين الإسلاميين الذين يمكن التفاهم معهم، وبين النشطين الذين لايقبلون أى نوع من التفاهم.

٦ ـ أهمية التعاون مع الحكومات الإسلامية الصديقة وغير الصديقة، وتأييد الديموقراطيات الحقيقية.

٧ ـ علينا النظر إلى الحضارة الإسلامية كإضافة مهمة للإنسان بوجه عام، وأن نقدر أن المسلمين ينظرون خلفهم إلى حضارتهم باعتزاز.

بالتأمل فى هذين الفريقين المثقفين والأكاديميين فى أمريكا يمكننا القول: إن المثقفين الأمريكيين منقسمون، وأن الحكومات المتعاقبة توضع أمامها وجهتى النظر، وأن دول الشرق الأوسط عليها مسئولية ضخمة فى تأييد الفريق الذى يدعو إلى الحوار، كما تقوم إسرائيل بتأييد الفريق الآخر، والدليل على ذلك أن أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى ـ وهو عضو لأكثر من ٢٠ عامًا ولايزال ـ قال لى فى إحدى زياراتى لأمريكا: إنه على طول المدة التى قضاها فى الكونجرس، لم يأت إليه عربى واحد لا فى بيته ولا مكتبه، بينما اليهود يأتون إليه يوميًا، ومعهم أجندة واحدة على اختلاف شخصياتهم هى «الأمن»، بينما العرب لكل واحد أجندته الخاصة، كما يسمع من أصدقائه الآخرين الذين يقابلونهم، وكنت أنا العربى الوحيد الذى تحدث معه وكان هذا بالصدفة البحتة فى بيت صديق أمريكى مشترك وبدون ترتيب مسبق.

• الإسلام والمسلمون فى عقل أمريكا

يقول ألبرت حورانى المؤرخ البريطانى[1]: «إن الإسلام منذ ظهوره يعتبر مشكلة للمسيحية الأوروبية، فهم ينظرون للإسلام بمشاعر مختلطة من الخوف والرفض، فالمسيحيون لايقبلون محمدًا كنبى من الله أو كشخص أوحى إليه، فالعقيدة واسعة

(*) أوروبا والإسلام ص ٣.

الانتشار بين المسيحيين فى العالم هى أن (الإسلام ديانة مزيفة) فإله الإسلام ليس هو الله الحقيقى Allah is not God ومحمد ليس نبيًا، فالإسلام تم غزوه برجال هراطقة وقد تم انتشاره بالسيف»، وعلى حد قول المدافع عن الإيمان فى القرن الثالث عشر أثناء الحملة الصليبية أوليفر باديربون Oliver of Paderborn: «إن الإسلام بدأ بالسيف واستمراريته تتوقف على السيف وبالسيف تكون نهايته».

لقد كان للصراع المستمر لعدة قرون بين الإسلام والغرب دوره الفاعل فى وضع حواجز عدة بينهما، فالحضارتان تقدمان رسالة عالمية ولهما إرسالية واضحة ويشتركان معًا فى نفس التراث اليهودى المسيحى واليونانى الرومانى، ولقد انفصلا بسبب الصراع لكن يجمعهما معا الروحانية، فالاثنان يقدمان عقائد تتحدى العقل والإدراك البشرى، وتجمعهما معا مبادئ إنسانية واحدة من خلالها يكملان بعضهما بعضًا، ولقد عاش الإسلام والمسيحية الغربية معًا بين القرب و البعد، والصراع والتحدى الروحى، والتعاون والرفض، ومن خلال كل هذا تشكلت العلاقة بين الغرب المسيحى والشرق الإسلامى.

تاريخيًا لم يجد الغرب المسيحى أى غضاضة فى التعاون مع الشرق الإسلامى ضد أعدائهم من الأوروبيين، ففى القرن التاسع عشر قام التحالف الألمانى الإنجليزى الفرنسى بالتحالف مع الدولة العثمانية ضد أعدائهم الأوروبيين، ولقد كانت الإمبراطورية العثمانية هى عامل توازن داخل النظام الأوروبى، وسقوط الإمبراطورية العثمانية عام ١٩١٨ كان أحد أسبابه المهمة هو تحالفها مع ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى، ولقد دخل البريطانيون والفرنسيون مع العرب المسلمين فى تحالف ضد العثمانيين والألمان بين عامى ١٩١٩، و١٩٥٠، وكان تأثير أوروبا على العالم الإسلامى من خلال السياسة الاستعمارية أكثر كثيرًا من العلاقة الدينية أو التأثير الدينى[١]، ولقد كان البريطانيون والفرنسيون يتعاملون مع من يحقق مصالحهم من العرب والمسلمين بغض النظر إن كان إسلاميًا أو قوميًا، ولقد كانت عوامل التحكم هنا سياسية واقتصادية وليست دينية أو حضارية.

وعلى العكس من أوروبا جاءت أمريكا، فهى لم تكن فى يوم من الأيام

---

(١) ألبرت حورانى «الإسلام فى الفكر الأوروبى» ص٩.

مستعمرة لأية دولة عربية أو مسلمة، ولم تقم أى حروب بينها وبين العالم الإسلامى وليس بينها وبين أية دولة إسلامية سفك دماء، ولم تحاول أن تقلد الإمبراطوريات الأوروپية السابقة فى سياستها الاستعمارية، وفى بداية القرن العشرين بدأت أمريكا تؤسس علاقات دپلوماسية وتعاون مع الدول العربية والإسلامية، والتى أظهرت أمريكا وكأنها تريد أن تفصل ذاتها عن التاريخ الاستعمارى الأوروپى، وعلى العكس من أوروپا أظهرت أمريكا عدم ضيقها من هجرة العرب والمسلمين إليها، وعلى الرغم من استمرارية وتطور التحدى الدينى والثقافى الذى يقدمه الإسلام إلى عقل وخيال الكثير من البشر فى أمريكا، إلا أن محرك السياسة الأمريكية هو الأمن واستراتيچية التطرف الإسلامى.

بعد الحرب العالمية الثانية شجعت الولايات المتحدة قيام الثورات فى العالم الثالث ضد الاستعمار الأوروپى القديم، لكن فى النصف الثانى من القرن العشرين نظرت الولايات المتحدة بعيون الشك إلى الحركات الثورية التى تتسم بالأيديولوچيا الثورية أو الماركسية، وبمرور الوقت ازداد الخوف لديهم من العملاق السوڤيتى. ولقد قامت سياسة ترومان وأيزنهاور وكنيدى على التعاون مع القوميين العرب لإبعاد شبح السوڤييت عن المنطقة، لكن هذه السياسة لم تلق قبولاً من العرب والمسلمين؛ لأن شبح الاستعمار الغربى مازال ماثلاً فى الأذهان، فضلاً عن تشجيع السوڤييت لحركات التحرر فى العالم الثالث، ومن عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٧٠ كانت سياسة الولايات المتحدة ضد القوميين والثوار فى العالم العربى وعلى رأسهم جمال عبدالناصر فى مصر، وكانت سياسة أمريكا فى ذلك الوقت أن الخطر قادم من الحكام القوميين وليس من الإسلاميين، بل إن الحكام القوميين هم خطر على الحكومات الإسلامية التى تتبع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى المنطقة، بل إن عبارات «التطرف» ألصقت بالقوميين أكثر من الإسلاميين، وكان هدفهم الأعظم هو تحجيم **جمال عبد الناصر** الذى كانوا يرونه بطلاً قومياً للعرب جميعاً وخطراً واضحاً على الحكومات التى تواليهم مثل دول الخليج . . . إلخ.

وما بين عامى ١٩٥٠، و١٩٦٠ بدأت أمريكا تعمل على تكوين حلف إسلامى ضد الشيوعية الكافرة والقوى القومية بزعامة جمال عبد الناصر، وكان من دواعى انهيار العلاقة بين مصر وأمريكا فى منتصف الستينيات أن الرئيس ليندون چونسون

شجع الملك فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية أن يتولى تكوين حلف إسلامى مقدس هدفه عزل مصر عن العالم العربى، ولقد أظهرت الولايات المتحدة فى الخمسينيات والستينيات كراهية واضحة لحركات التحرر فى العالم العربى والإسلامى، بينما ظهر الإسلاميون وكأنهم فى خدمة أهداف السياسة الأمريكية، ففى الصراع بين الإسلاميين والقوميين وقفت الولايات المتحدة فى جانب الإسلاميين، ولقد تشكلت سياسة الولايات المتحدة فى ذلك الوقت بتأثير واعتبارات الحرب الباردة، وليس باعتبارات وتأثير التاريخ والحضارة أو أى خوف أو كراهية للإسلام والمسلمين.

لكن هذا الوضع اختلف تمامًا فى السبعينيات، وقد تم هذا بشكل عام؛ بسبب ظهور الإسلام السياسى بقوة على الساحة، فبداية كانت حرب ١٩٧٣ بين العرب وإسرائيل، تلتها تحكّم المسلمين فى مقدرات البترول، ثم قيام الثورة الإسلامية فى إيران ١٩٧٨-١٩٧٩، وكانت أزمة الأسرى الأمريكيين فى إيران صدمة للقائمين على السياسة الأمريكية واعتبروها بداية لما سمى بعد ذلك التهديد الإسلامى Islamic Threat، وهكذا نرى أن الأمن مع السياسة والاقتصاد هما فى قلب التحول الأمريكى.

وبينما فشل عبد الناصر فى حربه ضد إسرائيل والغرب تحت شعار القومية العربية، فإن خليفته أنور السادات كسب الحرب فى ١٩٧٣ تحت شعار الإسلام، وقد سماها «حرب رمضان»، ولقد رافق الإحياء الإسلامى ازدهار الثروة البترولية، حيث ارتفع سعره أضعافًا مضاعفة، ومن لحظتها بدأ الحكام العرب يتخذون لأنفسهم ألقابًا إسلامية أو يطبقون الشريعة أو يتحدثون كثيراً عن الإسلام كعقيدة تدعو إلى الحرب والجهاد، مثل: **القذافى** فى ليبيا، **وصدام حسين** فى العراق، **وأنور السادات** فى مصر. . . إلخ؛ مما دعا أمريكا إلى الإحساس بالخوف من هذا الإسلام الذى يدعو للقتال والجهاد ضد الغرب، إلا أن الأكبر والأكثر تأثيراً فى هذا المجال كان الثورة الإسلامية فى إيران خاصة فى أزمة الرهائن الأمريكية، ولقد كانت صدمة عظمى للأمريكيين عندما سمعوا آية الله الخمينى يدعو أمريكا: الشيطان الأكبر، ولم تختبر أمريكا فى حياتها هجومًا بهذا الأسلوب الواضح ولا هذه النوعية من التفاوض غير الموضوعى مع المسئولين الإيرانيين بالقول: «نحن

نتعامل مع مجموعة مجنونة» فأسر ٥٢ أمريكيًا لمدة ٤٤٤ يوم كانت خلالها تكسب إيران كل يوم درجة أعمق وأوسع من الكراهية لدى الشعب الأمريكى .

وهنا تكررت نفس العبارات التى أطلقت على القوميين فى الخمسينيات والستينيات مثل «التطرف» ، «الإرهاب» مع تطبيقها على الثورة الإسلامية فى إيران . وفى استبيان عام ١٩٨١ قال ٥٦٪ من الشعب الأمريكى : إنه عندما يسمع كلمة «إيران» تأتى إلى ذهنه معانى «الأسرى» «الخمينى »«البترول» «الشاه» ، وكثيرون قالوا : «الغضب» «الكراهية» . . . إلخ .

وهكذا حل الإسلام محل القوميين العلمانيين كتهديد على الأمن الأمريكى ، ولقد ظن نيكسون ووزير خارجيته هنرى كيسنجر أنه بتأييدهما للثورة الإسلامية فى إيران وخلع الشاه أن الحكومة الإسلامية فى إيران سوف تكون صورة أخرى مكررة من حكومات السعودية والخليج فى مساندتها للحكومة الأمريكية وسوف يتعاونون معًا ، إلا أن الخمينى اتّخذ خطًا مغايرًا ، ثم تلى ذلك احتلال الحرم المكى لمدة أسبوعين من المتطرفين ، ثم تبع ذلك اغتيال رئيس مصر أنور السادات عام ١٩٨١ ، ثم نمو الإسلاميين فى الكويت ولبنان . . . إلخ ؛ مما وضح أن الثورة الإيرانية تصدر نفسها إلى هذه الدول ، وفى استبيان للرأى عن «ما الذى يأتى إلى الذهن عند ذكر كلمة «إسلام»؟ كانت النتيجة «محمد» و«إيران» ، فقد اختلطت السياسة الإسلامية بالسياسة الإيرانية ؛ ولذلك كان لابد أن يستقر فى العقل الأمريكى أن كل الحكومات الإسلامية تعتبر أمريكا «الشيطان الأكبر» .

الخوف من الإرهاب وتأثيره على السياسة الأمريكية

يعتبر الإرهاب واحدًا من أهم القضايا السياسية فى الولايات المتحدة اليوم ، لقد اعتبر بعض المحللين الأمريكيين أن هذا الإرهاب جاء نتيجة التطرف الإسلامى وخاصة الثورة الإيرانية ، يقول وارن كريستوفر : « إن إيران هى المسئولة الأولى عن الإرهاب فى العالم » ، فخلال الحرب الباردة لم يكن هنالك أى هجوم إرهابى على أمريكا ولم تكن مستهدفة لذلك ، ولكن الموقف الآن تغير ، فإرهابيو اليوم يختارون - وبعناية - أهدافًا أمريكية ، بل وفى داخل أمريكا ذاتها . فقد وقعت انفجارات

خطيرة أصابت العقل الأمريكى مباشرة والذى كان يستبعد تمامًا مثل هذا الموقف؛ وقد أدى هذا إلى الخوف من حدوث مثل هذه الانفجارات مستقبلاً، ولاشك أن أكثر الانفجارات ماثلة للأذهان هى فبراير ١٩٩٣ انفجار مركز التجارة العالمى، ثم سبتمبر ٢٠٠١، والتى ملأت نفوس الأمريكيين جميعًا بالرعب، والتهديد المعلن من الجماعات الإسلامية وعلى رأسها القاعدة، إنها تهدف إلى إجبار أمريكا على عدم تدعيم إسرائيل ومصر، وذلك عندما تفقد الأمن من خلال قتل المدنيين.

وهكذا يمكننا القول إن هذه الانفجارات والتهديدات قد حطمت صورة الإسلام وحضوره بشكل فظيع فى العقلية الأمريكية، وكما قال چيمس بروك فى النيويورك تايمز: إن ربط المسلمين والإسلام بالإرهاب فى عقلية الكثيرين من الأمريكان، صنعت منهم هدفًا للاضطهاد كجنس عربى أو مسلم، وفى أول استبيان بعد ١١ سبتمبر للشعب الأمريكى قال أكثر من ٧٠٪ بأن العرب والمسلمين ضد الغرب وضد أمريكا.

ومن الأمور التى دمرت الصورة تمامًا، هو الترحيب الذى تم فى البلاد العربية والإسلامية بانفجارات ١١ سبتمبر مثل ليبيا، العراق، وفلسطين، وقد نقلت كاميرات التليفزيون هذا الترحيب إلى أمريكا وسط مظاهر الحزن الشديد والاكتئاب العام الذى ساد أمريكا فى ذلك الوقت، ولقد كان للميديا الأمريكية دور ضخم فى تشويه صورة العرب والمسلمين، سواء فى أسلوب العرض أو فى الخلفية التاريخية للصراع بين المسلمين والغرب الأمريكى، ولقد كانت هذه فرصة ذهبية للوبى الصهيونى مع اليمين المسيحى الجديد فى تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية ضد العرب والمسلمين، وبدلاً من وضع ظاهرة الإرهاب فى حجمها الحقيقى، وضعوها كجزء من الحرب النظامية ضد الغرب المسيحى وضد الأمركة، وبهذا أصبح الإرهاب هو الخطر الأعظم على الحضارة الغربية وأمريكا.

وهكذا استغل شارون هذا الفكر واقتحم رام الله وغزة والضفة الغربية تحت شعار الدفاع عن النفس ضد الحرب المنظمة للإرهابيين ضد الحضارة الغربية، بل واستطاع من خلال ذلك أن يطوع الإدارة الأمريكية لتحقيق ما يريد ضد الفلسطينيين. ولقد كان للميديا الأمريكية دور لايستهان به؛ إذ استطاعت أن تشكل

عدواً عالميًا جديداً للولايات المتحدة الأمريكية يأخذ مكان الاتحاد السوفييتى، لقد رسموا صورة لها ملامح سلبية للمسلمين والعرب؛ مما جعل الرأى العام الأمريكى يرفضهم تمامًا.

ولقد كان لإسرائيل دور لايقل أهمية عن دور الميديا الأمريكية، فمنذ سقوط الاتحاد السوفييتى وقادة إسرائيل يحاولون وضع أوروبا وأمريكا فى حرب مع المسلمين الأصوليين، وكانت خطتهم هى محاولة إقناع الرأى العام الأمريكى وصناع السياسة الأمريكية بأن عدوهم الحقيقى والذى لن ينتهى سريعًا هو الإسلام الأصولى، فمثلاً هرتزوج رئيس إسرائيل السابق قال فى عام ١٩٩٢ للبرلمان البولندى: «إن مرض (الإسلام الأصولى) ينتشر بسرعة مخيفة ومنظمة، وهو ليس خطراً فقط على اليهود ولكن على الإنسانية بشكل عام».

وفى زيارة لشمعون بيريز إلى أمريكا عام ١٩٩٤ قال: «بعد سقوط الشيوعية أصبح الأصوليون الخطر الأعظم لعصرنا الحالى»، بل وشبه الأصولية الإسلامية بالنازية والشيوعية. ولقد حذر إيهود باراك كلينتون من عرفات الذى يأوى الإرهابيين من المسلمين، أما شارون فقد دخل على رام الله وقبض على من اعتبرهم قتلة وزير السياحة الإسرائيلى والمختبئين فى مكتب عرفات وقد وضعهم فى جدول الإرهابيين، وقد قام بتشويه صورة عرفات والسلطة الفلسطينية التى تأوى الإرهاب الإسلامى، وفى هذا الإطار تحكّم فى السياسة الخارجية الأمريكية حيث كان بيان بوش الأخير على مكتب شارون من قبل إذاعته بتسع ساعات، وبعد موافقة شارون، قام بوش بإذاعة البيان الذى يدعو إلى إقامة دولة فلسطينية بحدود مؤقتة بشرط تغيير عرفات. . . إلخ.

كيف يكون الحوار الإسلامى الأمريكى؟

هناك اجتهادات عدة عن: كيف يكون الحوار؟ والحوار كما نفهمه ليس مجرد مؤتمرات ولقاءات وكتابة مقالات وكتب عن الحوار فقط، لكن الحوار أيضًا ـ قبل وبعد كل ذلك ـ هو اتجاه عام للشعب الذى يريد الحوار مع الآخر المختلف، هذا الاتجاه يجب أن يغرس فى النشء منذ الصغر ويكون مشروعًا قوميًا متكاملاً فى كل

أنحاء البلاد فى كيفية التعامل مع الآخر المختلف، فى المدرسة والجامعة، فى المستشفى والمكاتب الحكومية، فى الشارع والمواصلات والأماكن السياحية حتى يتحول البشر جميعًا إلى محاورين، بمعنى يعرفون كيف يقدمون أنفسهم للآخر وكيف يتفهمون موقف الآخر، إنه منهج متكامل، والحوار لايعنى إظهار الإيجابيات ونفى أو إخفاء السلبيات، ولكن يعنى إقامة حوار صادق يعترف فيه كل شخص للآخر بسلبياته ونقط ضعفه ومحاولاته فى العلاج؛ ولذلك فالحوار هو حالة يجب أن نعيشها جميعًا، خاصة بعد سقوط المسافات بين الدول وتداخل الثقافات والحضارات؛ لذلك فإننا نرى هنا أن الحوار ينقسم إلى ثلاثة مستويات، **الأول:** هو الحوار الصامت، بمعنى الاطّلاع على حضارة الآخر، ورؤية كيف يعيش، وما هى القيم والمبادئ التى يتبناها فى حياته اليومية؟ وذلك من خلال الأفلام والمسلسلات اليومية والنشرات الإخبارية وأسلوب الحياة الذى يتبناه، فى الوقت الذى فيه أقدم ذاتى للآخر بنفس الأسلوب وبصدق من خلال الأعمال الفنية والأدبية والسياسية، كل ذلك دون دخول فى نقاش، بل وعدم إدانة الآخر وعدم الحكم على الآخر من خلال القيم الخاصة بى، فنحن كحضارة شرقية لنا قيمنا الخاصة، والتى على رأسها الشرف والشهامة والشجاعة، بينما الغرب يضع على قمة القيم قيمة الحب والحرية الفردية والصدق، والتى تأتى عندنا فى ذيل القائمة، كما يأتى الكرم والشجاعة فى ذيل قائمة قيم الغرب، ولذلك علينا أن نعلم أولادنا وشعوبنا كيف يقبلون الآخر كما هو بقيمه وعدم الحكم عليهم بقيمنا، وهنا يكون الحوار الصامت إثراءً للآخر ومحاولة فهم موقفه.

و المستوى الثانى من الحوار فهو حوار التعامل المباشر من خلال البعثات التعليمية المتبادلة، ومناقشة المبادئ العامة التى يمكن أن تجمعنا معًا فى حضارة إنسانية واحدة، وتبادل السياحة والمعارض والتبادل التجارى، وكل هذه الأمور وغيرها تعطى أبعادًا مختلفة للحوار وتفهمًا أكثر للشعوب، بل وتقاربًا واضحًا فعالاً من خلال التعليم والاقتصاد والتجارة والسياحة . . . إلخ.

أما المستوى الثالث من الحوار فهو إقامة حوار فعال للفهم والتفهم بين الشرق والغرب، ومن خلاله تصحح المفاهيم الدينية والحضارية والثقافية حيث يكون

الحوار بين الفارق بين الإسلام والإرهاب، وبين المسيحية الغربية والإباحية، وعلاقة الدين بالحضارة ودور الدين فى الحضارة، بحيث يكون هذا الحوار فعالاً وصادقًا ومخلصًا، فالاحتياج الحقيقى هو لمثل هذا الحوار. وهناك شعوب كثيرة قدمت ذواتها للغرب، لأمريكا بالذات من خلال هذه المستويات الثلاثة ونجحت نجاحًا مبهرًا، ومن ضمن هذه الشعوب إسرائيل، والتى تقوم بحوار متصل على الثلاثة مستويات مع معظم دول العالم؛ لذلك نجد أن معظم دول العالم تتفهم موقف إسرائيل بينما نحن العرب، ولأننا لا نمارس أى مستوى من هذه المستويات، نتعجب كثيراً عندما لايتفهم العالم موقفنا، والحوار له شروط لابد من توافرها والاتفاق عليها مثل:

١. أنه لايوجد إنسان أو شعب لديه حق مائة فى المائة فى قضية ما، والآخر لا حق له

فلو أن هذا الأمر صحيح ما كانت هناك مشكلة تنشأ عندما يتنازع شعبان على الحق فى أمر ما؛ ولذلك يجب أن يكون الحوار محصوراً فى نقاط الخلاف وليس فى كل شيء، ونحن قد تعودنا أن نَصفَ العدوَ بكل السلبيات والموبقات، ولكن هذا ليس حواراً مع الآخر بل هو حوار مع النفس، وإذا كان للعدو نفس الموقف ينتج ما يسمى «حوار الطرشان»، أى أن كل طرف يستمع إلى نفسه فقط، وهذه التعبئة ضد العدو تصلح فقط فى وقت الحرب، فلكى أعبئ الجيش والشعب للحرب ضد شعب آخر عَلَىّ أن أصف الآخر بكل الشرور التى فى العالم؛ وذلك حتى يكون مستحقًا للقتال والحرب، وإلا فلا داعى للحرب، وإذا كان هذا المنطق يصلح للحرب إلا أنه لايصلح فى الحوار. ولأننا لانستطيع أن نفرق بين الحالتين، لذلك تجدنا فى وقت الحوار والمفاوضات أيضًا نتحدث عن عيوب الآخر ليس فقط نقاط الخلاف لكن أيضًا تاريخه وتاريخ أجداده وطرقه المختلفة عنا والمرفوضة منا، ولا مانع من تكفيره إذا كان يختلف فى الدين، كل هذا وندعى أننا نقوم بالحوار معه. إن الحوار ينبغي أن يبدأ من منطلق حسن النية واكتشاف إيجابيات الآخر وجعله يكتشف إيجابياتنا، ثم نحصر الحوار فى نقاط الخلاف ولا يتوسع ليشمل القيم والمبادئ والأديان. . . إلخ، وإذا اتفقنا أن نفعل ذلك نكون قد انتصرنا على أنفسنا؛ ولذلك يسمون هذا الموقف «الانتصار الداخلى».

٢ - الفهم والتفهم

وهذا المبدأ فى الحوار يعنى أنى أحاول أن أعبر عن نفسى بأسلوب صحيح حتى يستطيع الآخر أن يتفهم موقفى، وهذا يتم عن طريق أشياء كثيرة، منها الحوارالهادئ ومنها المستندات والوثائق، ومنها التعبير الجيد عن الذات، وفى الوقت نفسه وقبل أن أطلب منه أن يفهم موقفى علىّ أن أحاول تفهم موقفه، ثم علىّ أن أحدد الأسلوب الذى أتبعه فى الحوار والمناقشة . . . إلخ، وعندما أصل إلى هذه النقطة من الفهم والتفهم مع الآخر نكون قد حققنا ما يسمى بالانتصار الخارجى، أى الانتصار فى ميدان التفاعل والتعامل مع الآخر والنجاح فى التعبير عن الذات .

ولكى نصل إلى هذا المستوى الحوارى ونمارسه يجب أن يتوافر لدينا ثلاثة أمور :

الأول: الثقة بالنفس

فالشعب الذى لايثق فى نفسه ولا فى قضيته ولامبادئه غير قادر على الحوار الفعال، فالشعوب الانفعالية والتى تحيل كل شيء إلى ما قد تتصوره عن الدين ومقدساته ،وتتصنع محرمات بمناسبة وبدون مناسبة، لايمكن الحوار معها، ولأنها شعوب لاتثق فى ذاتها ولا فى قضيتها، بالتالى هى غير قادرة على التعبير عن ذاتها بهدوء؛ لأنه فى التعبير عن الذات معرفة بالعيوب والنقائص والعمل على تجنبها ومحاولة تغييرها، وهذه الشعوب ليس لديها الثقة بالنفس لأجل التغيير الحقيقى، ولذلك نجد أن معظم الشعوب العربية غير قادرة على الحوار أو على اتخاذ قرارات فى هذا الشأن

الثانى: التجديد

والتجديد هنا يعنى ثلاثة أمور أيضًا :

أ - تجديد ذهن الأمة

وتجديد ذهن الأمة يتم بالحركة الثقافية المستمرة والتى تشمل كل فئات الشعب،

فالموسيقى والمسرح والفنون والأدب والقراءة، كحركة لايتوقف هديرها، تقوم بعملية تجديد لذهن الأمة، فلا تتجمد عند نقطة معينة ولاتسمح لأحد أن يختطف عقلها ويضعه فى صندوق خشبى أو ذهبى، والأمة المثقفة قادرة على الحوار مع الآخر بصورة لا لبس فيها ولا إبهام. فالحوار الثقافى بين الأمم يوضح مدى عمق وفهم ثقافة كل أمة، وكلما ارتفع المستوى الثقافى لأمة من الأمم كانت قادرة على الحوار بصورة فعالة ومؤثرة، فالأمة التى أدبها عالمى ومسرحها عالمى وفنونها عالمية قادرة على التعبير عن ذاتها وقضاياها بأشكال متنوعة ومختلفة، فتقنع العالم بقضيتها بشكل أسهل كثيراً من الأمم التى فنونها وأدبها مجرد أنشطة محلية غير مفهومة للعالم، وهذه الأمة ـ الأخيرة ـ تفشل فى أى حوار تدخل فيه، بل هى من الأصل تتجنب مثل هذا الحوار.

ب ـ تجديد جسد الأمة

وتجديد جسد الأمة هنا يعنى تغيير القيادات بقيادات شابة وبطريقة مستمرة، فالأمة التى تشيخ قياداتها غير قادرة على الحوار، فكلما كبر الإنسان فى العمر كلما قلت قدرته على التركيز والصبر فى الحوار سواء مع زوجته أو أولاده؛ حيث تهاجمه الأمراض وينفد صبره سريعًا، وهكذا أيضًا الأمة. فالأمة الشابة والتى قياداتها من الشباب والتى تحدد مدداً معينة للوظائف وبتغير الأشخاص تتغير الرؤية والنظرة، وبتدفق دم الشباب تتجدد رؤى الأمة وتكون قادرة على الحوار مع الآخر بقلب مفتوح وذهن متفتح، فتكون قادرة على الإقناع والتغيير، وذلك إذا اقتنعت هى بالتغيير الداخلى، فالعقل السليم فى الجسم السليم وكما ينطبق هذا المثل على جسم الفرد ينطبق أيضا على الجماعة.

جـ ـ تجديد روح الأمة

وروح الأمة هنا يعنى الإيمان بالله والذى ينبع منه الإيمان بالقيم الأخلاقية التى تعيش عليها الأمة والتى تنعكس فى القضايا التى تدافع عنها مثل هذه الأمة؛ ولذلك لكى تستطيع هذه الأمة أن تتحاور مع الآخر المختلف؛ لابد وأن تجدد روحها، أى لا تجعل أدعياء الدين المتزمتين يتحكمون فى روحها، ومن الناحية الأخرى لاتجعل

الداعين إلى تبنى قيم الآخرين يشوهون هذه الروح مهما كانت قيم هؤلاء الآخرين، فكل شعب لديه قيمه وأخلاقياته التى ورثها من آلاف السنين ويعيش عليها من عادات وتقاليد وأديان . . . إلخ، لكن إن ترك الأصوليين يسيطرون على روح الأمة قتلوها، وإن ترك دعاة التغريب يتحكمون فى روحها شوهوها؛ لذلك لابد وأن تكون هناك حركة تجديدية فى التراث القيمى والأخلاقى عند الأمة دون الانغلاق على الماضى أو التغيير لأجل التغيير، وهذا يتم - بما يسمى تجديد روح الأمة- باجتهادات رائعة عملاقة تدفع الأمة إلى التوحيد معًا، مهما كان اختلاف الجنس واللون والدين، وتدفع كل عناصر الأمة إلى العمل معًا من نساء ورجال، من خلال قيم روحية تجمع الجميع وتجدد روح الأمة .

بهذه الأمور الثلاثة : تجديد العقل بالثقافة، وتجديد الجسد بالتغيير المستمر للقيادات، وتجديد الروح بالبحث فى التراث وتنقيته ليدفع الأمة للأمام، يحقق لنا ثقة بالنفس تجعلنا نقف على أقدامنا ونتحاور مع الآخرين، بل ونستطيع بهذا تحقيق ما ذكرناه من قبل وهو الانتصار الخارجى .

بعد هذه المقدمة الطويلة نحتاج أن نتحدث عن : كيف نقيم حوارًا فعالاً مع الشارع الأمريكى وفى أى قضايا؟

أولاً: إعادة ترتيب الأولويات

وكيف نفكر فى الأشياء المستبعدة عن التفكير، وكيف نعيد التفكير بلا حساسيات . بعد أحداث ١١ سبتمبر مباشرة، ألقت هيلارى كلينتون خطابًا قالت فيه : «فى مثل هذه الأوقات ينبغى علينا أن نفكر فى الأشياء التى كان من المستحيل التفكير فيها من قبل أو المستبعدة عن التوقع To think the unthinkable » ومنذ ذلك الوقت انتشر مصطلح Unthinkable بشكل متسع وعريض لوصف ما حدث فى ١١ سبتمبر ، وما الذى يمكن أن يحدث مستقبلاً؟ !

ونحن علينا - لكى نقيم حوارًا فعالاً - أن نفكر فى Unthinkable. فالحوار مع الغرب لم يكن يهمنا فى يوم من الأيام، بل ومستبعد تمامًا من أجندة تفكيرنا، وكان الحديث فيه نوعًا من الرفاهية الفكرية، أما بعد ١١ سبتمبر فقد فرض علينا الحوار

وعلينا أن نفكر فى كل ما هو غير متوقع، فعلينا أن نعيد التفكير فى أساليب وطرق الحياة التى نحياها وأن ننظر إلى الغرب بأكثر موضوعية محاولين تفهمه، وأن نقدم أنفسنا إلى الغرب بصورة صادقة، وأن نغير من أنفسنا فى الوقت الذى نطلب فيه أن يغيروا أنفسهم حتى نتلاقى على المستوى الإنسانى. وهنا ينبغى أن نعيد ترتيب أولوياتنا، فبعد أن كانت الحرب والعداء هما أولوية مطلقة للغرب، صار الحوار هو الأولوية المطلقة مع أعداء الأمس، وتغيير الأولويات يفرض علينا تغيير عادات وتغيير إعلام وتعامل ثقافى مع فكر الحوار، وأسلوب سياسى مختلف، وأن نكون مقبولين من العالم ككل بتبنى القيم الإنسانية العامة، مثل: احترام حقوق الإنسان، والديموقراطية الحقيقية، وتداول السلطة . . . إلخ.

وهنا علينا - كأولوية أولى فى الحوار - أن نوضح أنه لا يوجد إرتباط حتمى بين الإسلام والإرهاب، وأنه ليس كل مسلم إرهابيًّا والعكس صحيح، وهذا لايتم بالكلمات لكن بالتحرك الواعى، سواء لرجال السياسة، أو رجال الدين، أو رجال الثقافة، ومصر هى الدولة المؤهلة لتقديم مثل هذا الفكر إلى العالم؛ حيث إن مسيحىّ مصر يمثلون أكبر تجمع مسيحى فى الشرق الأوسط؛ وبالتالى يمكن لمسيحىّ مصر مع مسلميها توضيح الصورة بأسلوب لا يقبل اللبس، حيث إن القادة المسلمين تعرضوا للإرهاب والقتل أكثر من المسيحيين، وعندما تتضح هذه الصورة بدون افتعال ويتحرك داعية إسلامى مع داعية مسيحى سواء داخل مصر أو خارجها، سوف يكون هذا له تأثيره الواضح والقوى، أما إذا كان الحوار مجرد كلام ودعاية ترتفع نغمتها عندما تقع الأحداث، وتهدأ هذه النغمة عند نهاية الأحداث، هنا تكون المشكلة، وتستبعد هذه الفكرة من الأولوية المطلقة. إن الحوار يحتاج إلى جهد حقيقى من جميع عناصر الأمة وبكل القوى فى كل الوقت، وعلينا أن نوضح جذور العنف، فالعنف الإسلامى لم يأت لأن العقيدة الإسلامية تحض على العنف!، فكم من المسلمين يرفضون تمامًا هذا العنف؟!. ولكن عندما نتأمل فى المنطقة الممتدة من مصر إلى تركيا وحتى أفغانستان فى الشرق لنصل إلى اليمن فى الجنوب، نجد أن هذه المنطقة عانت من عشر حروب على الأقل فى الخمسين سنة الأخيرة؛ مما أدى إلى إحساس الشعوب بعدم الاستقرار، فضلاً عن ملايين اللاجئين الذين نُزعوا من جذورهم، إذن عندما نتحدث هنا عن العنف علينا أن

نعود إلى جذوره الحقيقية ومسبباته، وبدلاً من الدفاع عن الإسلام وكأنه هو المتهم بالعنف، علينا أن نطرح الأسباب الحقيقية لهذا العنف.

وعلينا فى هذا الحوار أن نسترجع التاريخ. فقد وصف المؤرخون فى القرن الأول الميلادى المسيحية كجماعة دينية متطرفة حاربت فساد روما القديمة، وأطلقوا نفس الصفات على الإسلام عندما اجتاح الإمبراطورية البيزنطية، وعندما قام مارتن لوثر بثورته الإصلاحية فى القرون الوسطى وقدم ٩٥ احتجاجًا على سلطة الكنيسة الكاثوليكية فى ذلك الوقت على باب كاتدرائية «وتنبرج» وصف بالتطرف الدينى هو وجماعته، وهكذا علينا أن نكون واضحين فى وصفنا للتطرف والإرهاب، ثم نضع الفوارق الواضحة بين الإسلام والإرهاب، ثم الحياة بمقتضى ذلك، أى تكون سياساتنا داخل مصر ومع الدول العربية معبرة تمامًا عن هذا المفهوم وليست بعيدة عنه.

أما الأولوية الثانية فهى: إعادة التفكير فى كل شىء بلا حساسيات، مثل: لماذا تدهور الشرق الأوسط؟ وأيضًا إعادة اختبار العولمة وحقوق الإنسان والمجتمع المفتوح.. إلخ وهذه كلها أساسيات للحوار مع العالم.

أولا: لماذا تدهور الشرق الأوسط؟ أو ما سر تدهور الشرق الأوسط؟

من زمن ليس ببعيد ظهرت دول الشرق الأوسط وكأنها قادرة على أن تلحق بالنمور الآسيوية وبالتالى العالم الأول، فمن الناحية الجغرافية وعدد السكان والثروة، كانت المنطقة مؤهلة لكى تكون منطقة لها نفوذ عالمى حتى بدون البترول. فالشرق الأوسط وشمال أفريقيا يمثلان ثقلاً بموقعهم الجغرافى المتميز، لكن ما حدث هو أن هذه الدول لم تستطع أن تحقق ما كان باديًا فى الأفق أنه يمكن تحقيقه. والسؤال الذى قدمه برنارد لويس المؤرخ المشهور الذى يسأل بوضوح مجددًا وبطريقة مناسبة ولكن بشكل مؤلم: «لماذا لم تستطع الدول الإسلامية أن تتواكب مع الاقتصاد والسياسة الحديثة مثل باقى الحضارات غير الغربية؟»، ثم يجيب بالقول: أحد الأسباب المهمة فى هذا الأمر هو ما يدعى بالاقتصاد الإسلامى والذى فيه وصف الاقتصاد بالإسلام، ومن خلاله يرفض التعامل مع البنوك على أساس أن الإسلام يرفض الربا، أو صُنْع الثروة. لكن الحقيقة غير ذلك، فلقد دعا بعض

العلماء إلى تبنى النظام الرأسمالى ؛ لأنه النظام الإسلامى، والبعض الآخر رفض النظام الرأسمالى على أساس أنه يخضع لمبدأ قوى السوق أو العرض والطلب، ولقد أكد البعض أن البنوك الإسلامية أفضل من البنوك الغربية فى النظرية القرآنية، فعلى الأقل يوجد عائد للأموال يمكن توزيعه على المستثمرين، لكن مربط الفرس هو أن عمليتى الاستثمار والتجارة موجودان فى النظام الإسلامى قبل العالم الغربى، فلا يوجد فى القرآن شىء يمنع التجارة والاستثمار، فالنبى محمد كان رجل أعمال، ومكة كانت مركزاً مهمًا للتجارة والأخذ والعطاء، أما هذا الحوار حول شرعية الاستثمار من عدمه فهو ماحدث فى الغرب عندما أيّد أصحاب التجارة وصنع المال تحركاتهم بعقائد دينية.

ولقد كان العرب فى قلب الاقتصاد العالمى أثناء الإمبراطورية العباسية، والتى حكمت من بغداد لمدة مائتى عام بدءاً من منتصف القرن الثامن، فقد كانوا يصدرون الفضة إلى روسيا واسكندناڤيا، وغيرهما الكثير، ولقد كانت بغداد مركز التجارة العالمى، يقول الچنرال جلوب: «إنه تحت حكم هارون الرشيد - والذى حكم فى نهاية القرن الثامن حتى بداية التاسع - أصبحت الإمبراطورية العباسية فى عظمتها ومجدها ما يقرب من الإمبراطورية البريطانية الڤيكتورية، فقد كان التجار العرب يتاجرون فى الصين وإندونيسيا والهند وشرق أفريقيا، وسفنهم كانت تعبر المحيطات إلى الهند والصين ولقد رصد العرب فى ذلك الوقت نظامًا بنكيًا متقدمًا، فقد كان رجل الأعمال يحرر شيكات(*) على بنكه فى بغداد، ولقد كان عصراً عظيمًا للعلوم والحضارة، وعلوم الرياضيات والطب والفلك والشعر والفلسفة مع كلمات أرسطو وأفلاطون مترجمة إلى العربية».

وهكذا نرى أنه لا التاريخ ولا العقيدة هما السببان فى تدهور الشرق الأوسط، إذن ماذا؟

الإجابة تكمن فى رأينا فى الأسلوب السياسى الذى تدار به الدول فى الشرق الأوسط والحكومات فى المنطقة.

إن النظام السياسى الإسلامى التقليدى كان يركز على الأمة الواحدة والشريعة،

(*) كلمة «شيك» أصلها بالعربية «صك».

هذا النظام الذى يعتمد من ناحية على فكرة «الأمة» أى مجتمع المؤمنين والذى لايوجد فيه أى نوع من الحواجز بين الدول، وعلى «الشريعة» من الناحية الأخرى والتى تعتمد على تفسير حرفى لكلمات القرآن والتى تتعدى حدود الأمة، إذن كان الخليفة هو القائد السياسى والدينى، وفى عام ١٩٢٤ قامت الثورة التركية وألغيت الخلافة، ومنذ ذلك الوقت فشلت النخبة السياسية الإسلامية المفكرة فى إيجاد بديل لهذا النظام التقليدى للحكومة؛ لذلك حتى اليوم يقع ظل عدم الشرعية على كل الأنظمة الحكومية فى الدول الإسلامية، وتنظر الشعوب العربية والإسلامية إلى هذه الحكومات على أنها حكومات غير إسلامية، ولاشك أن هذا الوضع يدعو بالطبيعة إلى ظهور شخصيات كارزمية مثل **«أسامة بن لادن»**؛ ذلك لأنه يدعو لتنقية دار السلام (البلاد الإسلامية) من غير المؤمنين وإعادة الخلافة.

صحيح، نحن لا ننادى بعودة الخلافة كما كانت فى القديم، لكننا نسأل أهل العلم والفلسفة والسياسة: ما البديل الذى يقدمونه للعصر الحديث؟ والذى ينبع من التراث العربى الإسلامى ولا يقلد الغرب فى نظامه، بل ويمكن أن يأخذ منه بعض الأشياء. إن العالم العربى اليوم يتكون من أكثر من عشرين دولة أعضاء فى جامعة الدول العربية، أقلية منهم تبدو مستريحة مع أنظمتها الحاكمة، فمثلاً البعض مثل المغرب يحكمها نظام ملكى تقليدى، البعض الآخر علمانى قومى يحكمه حزب البعث مثل العراق، سوريا. مصر تتبنى النظام الديموقراطى بشكل صورى، حيث لاتوجد حرية ديموقراطية كاملة، وبإلقاء نظرة عامة نجد أمة عربية بحكومات مختلفة ومتناقضة التوجهات، بل الصراع الدائر بين ما هو عربى وما هو إسلامى يثير الحفيظة. وهكذا نرى سلطانًا فى عمان، رئيسًا عسكريًا فى اليمن، ملكًا من عائلة مع سلطات إسلامية خاصة فى السعودية، وملكًا له مواصفات خاصة فى الأردن، رئيسًا وبرلمانًا فى مصر مع ديموقراطية ظاهرية غربية، كل هؤلاء يجمعهم أسلوب واحد فى الحكم، هو شخص قوى يحكم مهما كانت وظيفته؛ ملكًا - رئيسًا - أميرًا - سلطانًا، وحوله حاشية تحميه وتحفظ حكمه، سواء من العائلة أو من الجيش، هذه النماذج تقدم أقدم الأنظمة الحاكمة فى التاريخ البشرى سواء فى عمرها أو أسلوب حكمها، ولذلك تراجع الشرق الأوسط عن أن يكون حاضرًا فى الحضارة الإنسانية الحديثة، وهذا هو موضوع الحوار الأول الذى يجب أن نتبناه.

إن الحكومات فى الشرق الأوسط تحاول أن تقود حصانين فى وقت واحد وتكبح جماحيهما.

الأول: الميديا، والتى تتحكم فيها الحكومات تحت شعار الأمن القومى.

والثانى: هو الدين، والذى تحاول هذه الحكومات التمسح به وترفض حكمه سرًا فى الوقت نفسه، والدول العربية الإسلامية التى يتجسد فيها هذا التناقض بوضوح هى: المملكة العربية السعودية، فهذه الدولة التى تمتلئ بالتناقضات ليس بغريب أن تكون ليس مجرد الموطن الأصلى لأسامة بن لادن بل أيضًا هى مصدر تمويله وصنعه، فهى الدولة القومية الوحيدة التى يطلق عليها اسم الأسرة التى تحكمها (السعودية) والحكومة الوحيدة التى تأسست شرعيتها على فكرة حماية الإسلام وتطبيق الشريعة، ثم الثروة البترولية التى أسست تعليمًا عاليًا وعلومًا متعددة، وهكذا كان السؤال: هل يمكن لدولة تقليدية مثل السعودية أن تتوافق مع العصر الحديث من اقتصاد وتكنولوچيا حديثة وحقوق الإنسان؟، وهل يتفق هذا مع التطبيق التقليدى للإسلام مثل الفصل بين الجنسين وتطبيق الحدود... إلخ.

لقد ركز حكام السعودية على ثلاثة أمور:

١ ـ الحكم من خلال عائلة تتكون من عدة أمراء، بلا مؤسسات ولا أحزاب ولا انتخابات.

٢ ـ اقتصاد قوى من خلال ضمان سوق بترولى مستمر مع استثمارات فى الغرب، وعلاقة قوية مع الولايات المتحدة.

٣ ـ تحالف عسكرى مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ورغم أن السعودية تعتبر نموذجًا للمجتمع الإسلامى التقليدى، إلا أنها مرفوضة من الأجيال الجديدة.

ولذلك نحن نحتاج إلى الحوار مع أنفسنا والآخرين عن: كيف يتوقف تدهور الشرق الأوسط سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وكيف نعالج هذه التناقضات التى فى مجتمعنا، وكيف نتقدم إلى العالم بشكل مختلف مبنى على مضمون مختلف؟

الأمر الثانى والمهم جداً هو إعادة اختبار صدام الحضارات والعولمة وحقوق الإنسان. . . إلخ.

أولاً: اختبار صدام الحضارات

من أهم مبادئ الحوار مع الغرب هو مفهوم العلاقة بين الحضارات، هل هى صدام كما قال صموئيل هنتنجتون فى كتابه صدام الحضارات؟ وإن لم تكن صداماً فماذا؟ ما الذى نشاهده إذن؟ يقول نيل فيرجسون فى بحثه المنشور فى كتاب «عصر الرعب» مع آخرين: إن ما نشاهده ليس صداماً للحضارات، لكنه تفاعل إمبراطورية وصلت إلى حد النضج من ناحية، وبين عقيدة دينية سياسية ديناميكية وخطيرة، ففى العالم يوجد تعاون وتداخل سياسى واقتصادى؛ لذلك فالذى يتحدث عن حرب عالمية ثالثة يخطئ كثيراً، والحقيقة أن الحرب العالمية الثانية كانت صداماً بين الحضارات، ولقد كانت صداماً لأن الدول الأنجلوسكسونية الديموقراطية من ناحية، والقوة الألمانية (المحور) من ناحية أخرى، كانتا تتصارعان على سيادة العالم وأيتهما الحضارة التى يجب أن تسود، لكن ما ينتظر الولايات المتحدة وما ترنو إليه شىء مختلف. فأمريكا هى الدولة العظمى اليوم ولاتوجد قوة ما تستطيع أن تصنع معها صداماً من أى نوع، ثم إن القيم التى أسست عليها الولايات المتحدة الأمريكية من حرية الفرد وحقوق الإنسان. . . إلخ تصطدم تماماً مع التحركات العلنية للولايات المتحدة خارجها؛ مما يجعل نوعاً من انفصام الشخصية لدى أمريكا، والسياسيون الأمريكيون إن لم يعوا كيف يتعاملون مع الظواهر المختلفة فى العالم والأديان المتعددة والمتنوعة فإنهم سيخسرون كثيراً، إن العالم مقبل على تفاعل حضارات، حيث تقوم كل حضارة بإثراء الأخرى؛ لذلك فصدام الحضارات لابد أن يُستبعد، وأن نبعد من حواراتنا اختيار مثل هذه التعبيرات التى تعود بنا إلى الوراء فى التاريخ الإنسانى، حيث إن مرحلة الصدام قد عبرت ولن تعود ثانية.

ثانياً: اختبار العولمة (الكونية)

لاشك أن ماحدث فى ١١ سبتمبر كان اختباراً لفكرة العولمة وخاصة الإيجابية

منها، ففى الوقت الذى تعنى فيه العولمة - إيجابيًا - سرعة الاتصال وسقوط الحدود وتدفق المعلومات، وقد خلقت العولمة لغة عالمية جديدة من تجارة عالمية وحرية كونية وامتداد للديموقراطية من ٢٢ دولة من ٥٠ عامًا إلى ١٢٠ دولة اليوم، ففى بداية الألفية الثالثة أصبح ٦٣٪ من سكان الكرة الأرضية يعيشون تحت نظم ديموقراطية، لكن الكوكبية أيضًا لها جوانبها السلبية، فالحرية أدت إلى سقوط السلطان أو اهتزاز السلطة؛ مما أنتج جرائم وإرهابًا حيث هناك حرية حركة حول العالم بسهولة ويسر وسرعة؛ مما أدى إلى عمليات إرهابية فى الشرق والغرب، وانتهت بكارثة ١١ سبتمبر. لقد عضدت الولايات المتحدة الأمريكية امتداد الديموقراطية والحرية فى الثلاثين سنة الماضية تحت شعار تعضيد حلول إنسانية لمشكلات العالم الحديث، لكن هذا التعضيد كان يتم بأسلوب فرض الحضارة الغربية بكل مكوناتها على الحضارات الأخرى، حيث وضح لبقية العالم أن أمريكا هى الاستعمار الجديد من خلال دعوة العولمة، ففى نهاية التسعينيات قامت الولايات المتحدة الأمريكية فى البلقان بالتدخل لإنهاء حرب البوسنة عام ١٩٩٥، وفى عام ١٩٩٩ تدخلت لإنهاء التطهير العرقى فى كوسوڤا، واليوم كوسوڤا والبوسنة بها قوات تبلغ ٥٠,٠٠٠ من الناتو وتعتبر دولاً مستعمرة ولكن بقوى دولية، وهو نفس ما وقع فى تيمور الشرقية، بينما الاستقرار فى سيراليون يتوقف على وجود الجيش البريطانى هناك، وكل هذا لا يسمونه استعمارًا؛ لأنهم يقولون نحن ذهبنا إلى هناك لأجل تثبيت الديموقراطية وحماية هذه الشعوب من جيرانهم، وهى نفس مبررات الاستعمار القديم لكن بصورة أكثر حداثة، فهم يقولون كل ما يريدون أن يفعلوه، هو أن يطردوا حكامهم الأشرار ويستبدلوهم بحكام صالحين.

وهنا نجد أنفسنا أمام معضلتين:

الأولى: التناقض بين الديموقراطية والحرية، فهناك تناقض عميق بين فرض الديموقراطية بالقوة، والحرية فى أى بلد من البلدان.

الثانية: إن ما تقوم به الولايات المتحدة ليس نوعًا جديدًا من الاستعمار بقدر ما هو تكرار لما كان الاستعمار الڤيكتورى يقوم به، ففى عامى ١٨٨٠، و١٨٩٠ عندما غزت بريطانيا السودان تحت شعار فرض القيم الحضارية على المناطق المتخلفة

والمحتاجة، قام المهدى بالآتى - وهو أسامة بن لادن اليوم -: بقتل الجنرال جوردون فى يناير ١٨٨٥ وكان رد الفعل موقعة أم درمان ١٨٩٨ حيث قام كتشنر بقتل ١٠,٠٠٠ من أتباع المهدى، وهى نفس الصورة التى تقدمها أمريكا اليوم بداية من حربها ضد العراق عام ١٩٩٠ ونهاية بأفغانستان، لقد ضربت أمريكا كوسوفا من الجو لأجل حقوق الإنسان، وهو نفس ما فعله الجيش الملكى فى الغرب الأفريقى عام ١٨٤٠ لأجل مبدأ أخلاقى عظيم وهو وقف تجارة العبيد. إذن ما الدروس التى يمكن أن تتعلمها أمريكا من تجربة بريطانيا القديمة؟ لقد نظمت بريطانيا أكثر من ٧٢ جيشًا نظاميًا، وخسرت الكثير، وانكمشت بعد ذلك عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا، إننا نحتاج لإعادة الحوار حول العولمة وإعادة اختبارها لتكون أكثر فعالية وفائدة للإنسان كإنسان فى العالم، ولنسأل أنفسنا وبعضنا البعض: هل هناك ضوابط لاستخدام القوة؟

ثالثًا: إعادة اختبار حقوق الإنسان

من الأمور المبدئية التى يجب أن تطرح فى الحوار هى: مصطلح «حقوق الإنسان»، ترى ما هو مفهوم حقوق الإنسان؟ ما هو مفهوم الأقليات؟ لقد قامت دول عديدة بالتوقيع على وثيقة حقوق الإنسان لا لشىء إلا طلبا لتعاون أمريكا الاقتصادى معها، لا اقتناعًا بفكرة حقوق الإنسان، وهذه الدول هى الصين وپاكستان وروسيا والمملكة العربية السعودية وأوزباكستان، وهناك دول كثيرة فى الشرق الأوسط تجاوزت كل حقوق الإنسان تحت دعوة محاربة الإرهاب، وفى أثناء الحرب الباردة تجاوزت الولايات المتحدة الأمريكية، بل وغضت الطرف عن حقوق الإنسان فى دول كثيرة مقابل أن تقوم هذه الدول بمحاربة الشيوعية.

إن ما حدث فى أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر ضد العرب والمسلمين يحطم كل نظريات حقوق الإنسان؛ لذلك علينا أن نعيد اختبار هذا المصطلح فى إطار الحضارات المختلفة، وفى إطار الأحداث التى وقعت مؤخرًا.

د. القس إكرام لمعى

المراجــــع

١ ـ جون . د . إسپوزيتو ـ ترجمة د . قاسم عبده قاسم : « التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة» ـ دار الشروق / ٢٠٠١ القاهرة .

- Akhtar, Shabbir. A Faith For All Seasons: Islam and the Challenge of the Modern World. Chicago: Ivan R. Dee, 1990.
- Allison, Robert. J. The Crescent Obscured: The United States and The Muslim World, 1779- 1815. New York: Oxford University Press, 1995.
- Amirahamdi, H., ed. The United States and The Middle East: A Search for New Perspectives. Albany: State University of New York Press, 1993.
- Ayubi, Nazih N. Political Islam: Religion and Politics in the Arab World. London: Routledge, 1991.
- Bodansky, Yosef. Target America: Terrorism in the U.S. Today. New York: S.P.I. Books, 1993.
- Brown, Seyom. The Face of Power: United states Foreign Policy From Truman to Clinton. New York: Columbia University press, 1994.
- Caplan, Lionel, ed. Studies in Religious Fundamentalism. London: Macmillan, 1987.
- Chomsky, Noam. Deterring Democracy. New York: Hill & Wang, 1992.
- Daniel, Norman. Islam and the West: The Making of an Image. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1960.
- Esposito, John L. Political Islam: The Challenges of Change. Annandale, VA: United Association for Studies and Research, 1995.
- Henze, B. Turkey: Toward The Twenty-First Century. Santa Monica, CA: Rand Corporation, 1994.
- Leug, Andrew. "The Perception of Islam in Western Debate." Is the Next Threat Western Perceptions of Islam. Ed. Jochen Hippler and Andrea Leug. Boudler, CO: Pluto Press, 1995.
- Mirsky, Y., Matt Ahrens, and J. Sultan, eds. Challenges to U.S. Interests in the Middle East: Obstacles and Opportunites. Washigton, DC: The Washigton Institutute For Near East Policy, May 1993.
- Gerges, Fawaz A, America and Political Islam Clash of Cultures or Clash of Interests, Cambridge University Press, 1999.
- Talbott, Store and Chanda, Nayan, The Age of Terror, Basic Books, 2001.

ظاهرة الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة ومستقبلها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١

د. صفى الدين حامد

مقدمة

بزغت على الساحة الأمريكية فى العقود الأربعة الأخيرة ظاهرة لفتت أنظار الكثير من المفكرين والإعلاميين بل ورجال الحكومة، ألا وهى ظاهرة الانتشار الإسلامى وتفعيل النشاط الخاص بالجالية الإسلامية والتى لم يكن لها وجود محسوس حتى بداية الخمسينيات. . ولأهمية هذه الظاهرة. والتى ما زالت فى مدّ مستمر وحركة نابضة، وجب علينا الحوار بشأن تبين ملامحها، وفهم تراكيبها. . وبعبارة أخرى فإن هذه المقالة محاولة لطرح شهادة للتاريخ، وتأمل فى الواقع، واستشراف للمستقبل. وفى هذا لا أدعى أنها دراسة علمية أو بحث موثق ولكنها بداية لحوار لا يجب الوقوف عنده، وإنما الانطلاق منه وتطويره، بغية الوصول إلى رؤية حاكمة لما ينبغى أن تكون عليه اتجاهات وخصائص هذا الانتشار إذا شاءت الأقدار له أن يستمر.

ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية ظاهرة فريدة فى تاريخ البشرية كقوة عسكرية واقتصادية وسياسية، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتى، وانفرادها كقوة عظمى وحيدة فى العالم تؤثر وتتأثر بديناميكية نادرة فى مجريات الأمور. وبناء على ذلك فإن الحوار المطروح فى هذه المقالة قد يكون له أهمية خاصة لأطراف متعددة، بدءًا بالجالية المسلمة الأمريكية والتى نعتقد أنها تعدت٧ ملايين نسمة وكذلك العالم الإسلامى كله بما له من علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة.

ازدادت أهمية هذا الحوار بعد أحداث ١١ سبتمبر الأليمة وما ترتب عليها من مواجهات عسكرية بين الولايات المتحدة من جهة وحكومة طالبان وتنظيم القاعدة من جهة أخرى، وتغيير الحكومة الأفغانية وإعلان الرئيس الأمريكى الحرب على الإرهاب فى جميع أنحاء العالم، مما أدى إلى تداعيات كثيرة وضخمة فى السياسة الخارجية والسياسية الداخلية على حد سواء. وقد لا يكون فى الأمر أى مبالغة إذا أشرنا إلى أن الحركة الإسلامية فى أمريكا كانت من أكثر المتضررين بالهجمة الإجرامية على برجى التجارة العالمية بنيويورك وعلى مبنى وزارة الدفاع بواشنطن. وكما تشير الإحصاءات والتغطية الإعلامية لما حدث فى أمريكا فى الشهور التالية لحوادث ١١ سبتمبر، فقد اتسعت حملات الحقد ضد العرب والمسلمين فى أمريكا، وتم اعتقال المئات منهم، وزادت الإجراءات التعسفية ضدهم فى المطارات. أما على صعيد السياسة الخارجية فقد توترت العلاقات مع معظم الحكومات العربية وزادت حدة الخطاب الإعلامى ولهجة الاتهامات فى وسائل الإعلام العربية والأمريكية، وتقاذف الطرفان الاتهامات وتصاعد الأمر إلى ذروته مع استمرار المذابح الإسرائيلية ضد الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية، وإعلان الحكومة الأمريكية عن عزمها على تغيير النظام الحاكم فى العراق، وتصميمها على الإطاحة بصدام حسين وحزب البعث كله، وعن رغبتها فى إرغام ياسر عرفات على التخلى عن رئاسة السلطة الفلسطينية. وبناء على ذلك، فالأهداف الرئيسية لهذا البحث هو تعريف ظاهرة المد الإسلامى فى أمريكا وأسبابها ونوعيتها وحجمها ومميزاتها، كما يغطى البحث عناصر الحركة الإسلامية والمؤسسات والمنظمات التى ساهمت فيها عبر تاريخها القصير نسبيّا، ويحاول فى النهاية استشراف بعض آفاق المستقبل واحتمالات النجاح والفشل فى القرن الواحد والعشرين.

وقد يكون من المناسب توضيح أن هذا البحث الاستطلاعى لم يأت من فراغ أو من مسح روتينى للمكتبات أو من مشاهدة عابرة، بل من تفاعل شخصى ومباشر مع أحداث مختلفة، وتلاحم إنسانى مع شخصيات مهمة، شاءت الأقدار أن تجمعها بالكاتب فى مناسبات أو تنظيمات شتى شارك فيها منذ هجرته لأمريكا فى نهاية الستينيات. ومن المناسب أيضا الإشارة إلى أن هذه الذكريات عن ظاهرة الانتشار الإسلامى فى أمريكا قد شغلت عقل المؤلف دائما فى محاولة متواصلة

لتحليل أبعادها وخصائصها، وما جرى وما يجرى أمام أعيننا حتى اليوم كيف تتبلور بعض المشاهد الغامضة بمرور الأيام؛ لتصبح جزءًا مهمًا وواضحًا فى منظومة مفهومة كما قال الشاعر العربى طرفة بن العبد:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ورغم أن الكاتب ليس بعالم اجتماع، أو رجل من رجال الدين، أو أخصائى فى التاريخ السياسى، وإنما أستاذ جامعى للعمارة والتخطيط، إلا أنه يوظف ما تعلمه فى دراسته الجامعية من قدرات تقنية على المثابرة والإتقان فى التحليل والتجميع لاستقراء هذه الحركة الحضارية التى ولدت ونمت وترعرعت فى أحضان مجتمع متميز فى تاريخ الأمم، ألا وهو المجتمع الأمريكى الذى كان وما يزال منذ إنشائه يعتبر نفسه مجتمعًا يهومسيحى، ويتفاخر فكريًا بمبدأ فصل الدولة عن الدين.

تعريف ظاهرة الانتشار الإسلامى

قد يحتار المرء فى التباين الشديد لتحليل ظاهرة الانتشار الإسلامى فى أمريكا، فلكل محلل وجهة نظر مختلفة خاصة به، وتتفاوت هذه التحليلات من اعتبار هذه الظاهرة نتاج حركة دينية، أو حركة سياسية، أو حركة اجتماعية، أو حركة فكرية.

ويدعى أصحاب وجهة النظر الأولى أن الظواهر والمؤشرات تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك زيادة ضخمة فى أعداد المساجد فيقال: إنه تعدى الألف مبنى فى الولايات المتحدة، وإنَّ صلاة الجمعة تقام فى أكثر من ٢٥٠٠ مسجد وساحة، وإنّ الاحتفالات الإسلامية قد زادت وتنوعت، وإن عدد المؤتمرات والندوات والمحاضرات الدينية قد فاق أى توقعات سابقة، وإنَّ أعداد الأمريكيين والأمريكيات الذين يعتنقون الإسلام فى تزايد يومى، أليست هذه كلها مؤشرات لحركة دينية قوية ناجحة؟!

ويميل فريق آخر إلى اعتبار الانتشار الإسلامى نتاج حركة سياسية نشطة، يلتف حولها مجموعات مختلفة من المسلمين، ولهم أهداف محددة تؤثر وتتعلق بعلاقتهم بالسلطة الحاكمة أو الدولة الأمريكية، كما أن لهم استراتيجيات - ولو بدائية - للتعامل مع شتى مجموعات الشعب الأمريكى. ويدعم هذا الفريق وجهة نظره بالإشارة إلى أطوار الخطاب السائد فى صفوف المسلمين، حيث نادى الكثير من المسلمين

الأمريكيين بقيادة على محمد بك وأتباعه - فى العشرينيات من بداية هذا القرن - بالهجرة من أمريكا والاستقرار فى تركيا حيث كانت مقر خلافة الدولة الإسلامية .

ومع ظهور وانتشار حركة أمة الإسلام Nation Of Islam بقيادة اليچا محمد تغير هدف المسلمين الأمريكيين من الدعوة للهروب من أمريكا إلى دعوة للانفصال عن أمريكا ، وإنشاء دولة مستقلة للزنوج المسلمين فى ولايات الجنوب . وفى بداية الستينيات ومع تصاعد التذمر الشعبى فى الولايات المتحدة ضد حرب ڤيتنام ، واشتعال الصدام بين شتى طبقات المجتمع حول قوانين الحقوق المدنية التى أكدت على مكافحة التمييز العنصرى ، ظهرت دعوة جديدة بين المسلمين الأمريكيين بإنشاء حزب سياسى أمريكى للمسلمين ، تكون له رؤية محددة تؤكد على عالمية الإسلام كحركة سياسية نبعت تاريخيًا من الجزيرة العربية بقيادة الرسول الكريم ﷺ ، وقد تصدر هذه المحاولة حينذاك شخص يدعى مظفر الدين حامد ، حيث اتخذ من واشنطن العاصمة مقرًا لهذا الحزب السياسى والذى سماه Islamic Party Of North America ، ولسوء الحظ لم تمهل الأقدار هذه المحاولة كثيرًا ، فقد اضطر رائدها إلى مغادرة الولايات المتحدة على عجل فى منتصف السبعينيات وآلت الفكرة إلى طى النسيان . ومع تصاعد الاهتمام الأمريكى بالشرق الأوسط والعالم الإسلامى بعد الحظر العربى للنفط أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد الثورة الإيرانية الإسلامية عام ١٩٧٩ والتهاب نبرة الحوار بين الإعلام الأمريكى المنحاز لصالح إسرائيل وبين المجموعات الإسلامية فى شتى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ، ظهرت استراتيچية سياسية جديدة بين المسلمين الأمريكيين ، ألا وهى المشاركة والاندماج والتأثير من خلال أكثر من لوبى على عملية صنع القرار سواء فى الإدارة الأمريكية أو من خلال الكونجرس الأمريكى ؛ ونذكر منهم على سبيل المثال اللجنة الأمريكية الإسلامية (AMC) ، لجنة العلاقات الأمريكية الإسلامية (CAIR) ، والجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) ، والدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية (ICNA) وغيرهم الكثير . وترجمة لهذا شاهدنا أيضًا فى الثمانينيات والتسعينيات أكثر من مجموعة سياسية ضاغطة تمثل أهداف ومصالح المسلمين الأمريكيين من أصل عربى أو تركى أو پاكستانى ، أو من القاعدة العريضة من الأمريكيين الزنوج ، ويستخلص المحللون بناءً على هذه المراحل الأربع والتى بدأت من

الدعوة للهجرة أو الانفصال ، ثم تطورت إلى الدعوة للتحزب ، ثم الضغط والاندماج على أنه أمام تيار سياسي يزداد نضوجًا وفاعلية يومًا بعد يوم ، ليس فقط بحجمه المتصاعد، ولكن بوضوح أطروحته وتركيزه على إنشاء تنظيمات متخصصة ، والعمل من خلال القنوات الشرعية التى يتيحها المجتمع الديموقراطى العلمانى المفتوح فى الولايات المتحدة .

أما خبراء علم الاجتماع ، فينظرون لظاهرة الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة الأمريكية على أنها تعبير عن حركة اجتماعية أو تغيير جذرى فى العلاقات بين مجموعات الأمريكيين الذين اعتنقوا الإسلام (إلى جانب المسلمين الذين هاجروا إلى أمريكا فى خلال هذا القرن) والمجتمع الأمريكى المحيط بها . ويبنى أصحاب هذا الرأى موقفهم على مجموعة من الأسانيد والمؤشرات وأهمها : انتشار المؤسسات الإسلامية النظامية ، والتى تمكنت الجاليات الإسلامية من إنشائها فى كثير من المدن الكبيرة والبنوك الإسلامية ومؤسسات الاستثمار والأوقاف ، وصناديق الزكاة والمنظمات الخاصة بالشباب والنساء والمهنيين والتجار ، ومكاتب الزواج ، ومؤسسات الإغاثة الإسلامية وأنشطة الخدمة الاجتماعية والطبية ، ألا تدل كل هذه الأنشطة على أن ظاهرة الانتشار الإسلامى هى نتاج حركة اجتماعية قبل كل شىء ، فهى حركة لها قاعدة عريضة من الجماهير المتشبثة بتراثها الإسلامى ، والتى ترفض كل أنواع الظلم الاجتماعى وتحاول بفطرتها التلقائية أو بذكائها المكتسب تنظيم صفوفها ، كما فعلت أقليات كثيرة من قبلها مثل الجالية الإيطالية ، والإيرلندية ، واليهودية ، والپولندية ، واللاتينية ، وتقوية هويتها بغية الحفاظ على الأجيال المسلمة الصاعدة من الذوبان تماما فى أتون الخضم الأمريكى .

ويعتقد الكثير من المفكرين والمثقفين برأى آخر يختلف كثيرًا عن وجهات النظر الثلاث التى تم ذكرها ، فهم يعتقدون أن أهمية ظاهرة الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بل إن خطورتها تكمن فى أنها حركة فكرية فتية ، وثابة ، ونشطة ويشيرون فى تأييد وجهة نظرهم إلى غزارة المطبوعات الإسلامية ، والمجلات الإسلامية ، ومئات الكتب والأبحاث التى تنشر الدوريات التى تصدرها بكثافة وانتظام .

ومما لاشك فيه أنّ المؤلفات التى تتناول الإسلام والتى تم نشرها باللغة الإنجليزية فى

العقود الثلاثة الأخيرة قد فاقت فى أعدادها كل ما كان متوقعًا . ويفسر البعض هذه الزيادة بتفسيرات مختلفة ، ولكننا نعتقد أن أهمها هو هجرة نخبة كبيرة من المفكرين والباحثين والعلماء المسلمين من وطنهم واستقرارهم فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ونذكر من بينهم فضل الرحمن وإيلياس بايونس من الپاكستان ، وإسماعيل الفاروقى وعماد الدين أحمد من فلسطين ، وسيد حسين نصر من إيران ، وطه جابر العلوان ومحسن مهدى من العراق ، ومحمود أيوب من لبنان ، وعلى المزروعى من كينيا ، وسليمان نيانج من جامبيا ، وحسان حتحوت وماهر حتحوت ، وحمودة عبد العاطى وفتحى عثمان ومحمود أبو السعود ومحمد عبد الرءوف من مصر ، وعبد الحميد أبا سليمان من السعودية . وساهم فى الحركة الفكرية الإسلامية أساتذة جامعيون أمريكيون ليسوا بمسلمين ومنهم على سبيل المثال : مارشال هدجسون ، إيفون حداد ، چون أسبوسيتو ، ريتشارد بترورث ، وإدوارد سعيد ، وجيڤرى لانج ، ومراد هوفمان ، وپول فندلى ، ومما يدعو للدهشة أن ظاهرة الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة قد استفادت من كتابات أعداء الإسلام أيضا من أمثال : الكاتب الصهيونى برنارد لويس أو ستيف أميرسون ، وكذلك اللبنانى الأصل والأمريكى الجنسية فؤاد عجمى ، وحتى من كتابات سليمان رشدى الهندى الأصل والبريطانى الجنسية ، وكلهم هاجموا الإسلام وتهجموا على رموزه المقدسة وأتباعه ، وبذلك سلطوا الأضواء على الدين الجديد الذى لم يكن الشعب الأمريكى يهتم به أو يعرف عنه إلا القليل حتى بداية الخمسينيات . ولا شك أن هذا الاهتمام قد تزايد إلى حدود لم يسبق لها مثيل بعد الهجمات الإرهابية المشهورة صبيحة ١١ سبتمبر ، فقد زاد الطلب على المحاضرات التى تشرح الإسلام وعلى عقد حوارات بين الإسلام وشتى طوائف الكنائس المسيحية ، بل أصبحت المفردات والعبادات والأركان الإسلامية جزءًا من الثقافة العامة تبارى برامج الإذاعة والتليفزيون بل والصحف والمجلات فى تغطيتها وإجراء المناقشات الجماهيرية عنها . وقد أجمعت الإحصاءات أن مبيعات الكتب التى تبحث فى أمور الإسلام وكذلك الترجمات الإنجليزية للقرآن وتفسيره قد وصلت إلى أرقام قياسية ، بل ونفدت النسخ فى أكثر المكتبات فى المدن الأمريكية الكبرى .

ونستنتج من هذا العرض السريع لوجهات النظر المختلفة وفق تعريفها لماهية ظاهرة الانتشار الإسلامى أننا أمام ظاهرة مركبة ومتنوعة الأبعاد ، وأن مزاعم كل فريق من الذين

قاموا بتحليلها قد تبدو دقيقة وواقعية ولكنها ليست شاملة . فالواقع يؤكد أننا نعاصر ظاهرة تاريخية جديدة لها أبعادها الدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية ، وكل من هذه الأبعاد تتفاوت فى تأثيرها باختلاف الظروف المؤثرة وطبيعة الزمان والمكان .

أهمية ظاهرة الانتشار الإسلامى فى أمريكا

تشير التفسيرات المختلفة إلى أن عدد المسلمين فى أمريكا الشمالية قد يتراوح ما بين ٦ ـ ٨ ملايين نسمة فى الولايات المتحدة وما يقارب النصف مليون فى كندا . وسواء قبلنا التقديرات القصوى أوالمتواضعة فإن هذه الملايين تمثل إمكانية ضخمة للتكتل والتأثير على طوائف المجتمع المدنى فى أمريكا ، أو على دوائر صنع القرار الحكومى والنيابى . وبالطبع فإن هذا التأثير لن يأتى إلا بعد أن يكتشف المسلمون فى أمريكا نقاط قوتهم حتى يقوموا ببلورتها ، ونقاط ضعفهم حتى يسعوا لعلاجها . كما يحتاج الأمر أن يتمكنوا من قياس الحجم والثقل الظاهرى لهذا الانتشار ، ومقارنته بمدى تغلغله وعمق تأثيره على أفراده داخليًا وعلى مجتمعه الأمريكى بالذات ، ثم على بقية شعوب العالم الإسلامية وغير الإسلامية .

وقد يكون من المناسب أن نشير إلى أن ظاهرة الانتشار الإسلامى فى أمريكا ـ أو العودة للدين فى البلاد الإسلامية ـ إنما هو جزء من ظاهرة عالمية سواء فى الشرق أو فى الغرب ، ويمكن ملاحظتها فى انتشار الحركات الأصولية للمسيحية فى العقود الثلاثة الأخيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية أو الأحزاب الأرثوذكسية اليهودية فى إسرائيل ، أو الطوائف الهندوسية وطائفة السيخ فى القارة الهندية . ورغم أن هناك تفاوتًا شاسعًا بين خطاب كل من هذه المجموعات من حيث تسامحه ، وقبوله لمعتقدات الآخرين أو على الأقل حق الآخرين للمعيشة والتجاور ، فإن هناك اعتقادًا شاملاً بين الجميع وهو أن الحل الأمثل لمشاكل الحاضر وتحديات الغد ، يقوم على العودة لمنابع الدين الأصلية حسبما يتم تفسيرها بواسطة القيادات الروحية لكل طائفة .

ويتبادر إلى ذهن الكثيرين ممن عاصروا أو اهتموا بتحليل ظاهرة الانتشار الإسلامى منذ نهاية الستينيات ، والتى تعتبر بحق حقبة بداية الانكسار العربى والإسلامى أمام المشروع الصهيونى ، يتبادر التساؤل الملح : لماذا العودة للإسلام وزيادة انتشار الإسلام بينما المسلمون فى قاع الهزيمة ؟ !

وبقدر إلحاح هذا السؤال يكون إصرار جموع الإسلاميين فى الرد عليه بأن سبب ضعفنا وهواننا على العالم ليس لأن قوى أجنبية احتلت أراضينا . . فقد نجحنا فى حقبة الخمسينيات فى تحرير أكثر بلاد المسلمين ، وليس لأننا متخلفون صناعيًا وعمرانيًا ، فقد خططنا ونفذنا برامج تنمية باهرة وجبارة فى حقبة الستينيات ، وليس لأننا فقراء . . فقد امتلأت خزائننا وفاضت بثروات ضخمة وأصبحت عوائد النفط الهائلة قوة يحسب لها ألف حساب فى عالم المال والأعمال ، وفى الاستراتيچيات الدولية ، وليس لأن حكامنا أجانب عنا ، كما كان الحال عندما سادت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا ، وغيرهم على دفة الحكم فى أكثر بلاد المسلمين فى القرون الماضية ، لا شىء من هذا يمثل سبب ضعفنا الأساسى من وجهة نظر الإسلاميين ، ولكن لأننا جميعا لسنا مسلمين ملتزمين بتعاليم الإسلام دينًا ودنيا ، دينًا ودولةً ، شعبًا ورعيةً ، وعلى هذا ظهر النداء الاستغاثى الشعبوى أو الخطاب الجماهيرى للقاعدة الإسلامية العريضة تدريجيًا فى صورة الشعار المعروف الإسلام هو الحل ، وكان من المحتّم بل ومن البديهى أن ينتشر مثل هذا الشعار بعد النصر العسكرى المحدود فى حرب أكتوبر ، والتحول المذهل فى إيران بعد سقوط الشاه والانفجارات المتتالية ، والنزيف المؤلم فى بقاع كثيرة من أقطار العالم الإسلامى مثل لبنان ، وفلسطين ، والبوسنة ، والعراق ، الصومال ، والجزائر ، وكشمير ، وأفغانستان ، والفليبين ، وكوسوڤا .

مرحلة اختلاط الأوراق

يعتقد الكثير من المحللين السياسيين أن الفترة التى تلت التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد وماتلى ذلك من آثار تغير دور مصر فى الصف العربى وانفراط عقد البيت العربى ، يعتقدون أنها كانت من أكثر الفترات تأثيرًا على ساحة العمل الإسلامى فى أمريكا . ولا شك أن الفترة الأخيرة من حكم أنور السادات وحتى اغتياله فى عام ١٩٨١ كانت فترة عاصفة ومشحونة بالكثير من التحولات الاجتماعية والاقتصادية فى مصر والعالم العربى ، والتى أصبحت فيما بعد نواة لتيارات الغضب والعنف التى تطايرت أطراف شرارته بعد تعبئته ضد الاحتلال السوڤيتى لأفغانستان وبطريقة غير متوقعة وصلت بعض هذه الحمم الملتهبة إلى الشواطئ الأمريكية ، وكان لها بالفعل دور كثيف وتداعيات خطيرة على الحركة الإسلامية فى المهجر . فقد تميز هذان العقدان

بظهور أعداد كبيرة من الأعضاء السابقين للجماعة الإسلامية على الساحة الأمريكية وكان بعضهم ممن تم اتهامه فى قضية حادث المنصة، مثل الشيخ عمر عبد الرحمن وأتباعه وانتهى بهم المطاف إلى المهجر الأمريكى، كما ظهر بعض الأفراد الذين أطلق عليهم فيما بعد «الأفغان العرب»، وهم الذين تم اغراؤهم من قبل المخابرات المركزية الأمريكية بمساعدة بعض أجهزة المخابرات بدول إسلامية مختلفة مثل الپاكستان ومصر والأردن والسعودية واليمن، للتطوع والقتال فى صفوف المجاهدين ضد الجيش السوڤييتى، وزاد ازدحام الساحة بانضمام الجماعات السلفية عندما أعطت الحكومة الأمريكية الضوء الأخضر للحكومة السعودية لتكثيف العمل الإسلامى فى أمريكا، بل باحتوائه إذا أمكن. وكانت عوائد النفط والسيولة الهائلة للأموال السعودية جاهزة لشراء المنظمات والمراكز الإسلامية، وبناء المساجد وتوزيع المصاحف والكتب والهدايا، وإعطاء المنح الدراسية للدراسة فى جامعات المملكة أوللتعاقدات التجارية، وتدريجيًا سيطرت السفارة السعودية على المركز الإسلامى فى واشنطن وأنشأت من بعد ذلك فرعًا لأحد جامعتها الدينية فى إحدى ضواحى العاصمة الأمريكية تحت اسم «معهد العلوم العربية الإسلامية». وكان القاسم المشترك لكل هذه التحركات - من وجهة نظر المملكة - هو الترويج بشدة لمذهبها الرسمى، وهو المذهب الوهابى تحت شعار السلفية فى العالم الإسلامى كافة - وبدءًا من أمريكا لأهميتها القصوى عالميا وأهمية الجالية الإسلامية بها فى الحاضر والمستقبل. وأى فحص متأنى سيجد تزاوجًا وتناغمًا كبيرين فى التشدد والتطرف بين هذه المجموعات الثلاث؛ مما أدى إلى احتقان شديد وتعثر فى مسيرة الحركة الإسلامية بأمريكا خلال الثمانينيات والتسعينيات؛ حيث إن المواجهات الفكرية والدينية بينهم وبين مجموعات المسلمين المهاجرين وأيضا المسلمين الأفارقة كانت مستمرة ومتصاعدة، خاصة أن سلطات الأمن السعودية أضافت الزيت على النار بالتخلص من مجموعات علماء الدين الذين تزعموا حركات نقدية ضد العائلة المالكة أو أحوال المملكة - بعد السماح بقواعد عسكرية أجنبية بالعمل من أراض سعودية - بابتعاثهم للعمل فى مراكز إسلامية بأمريكا. وقد أدى تواجد هذه الفئات الوافدة من المسلمين إلى تصادم وانشغال الكثير من الجاليات المحلية معهم والتناظر على قضايا ثانوية آثارتها وجلبتها هذه المجموعات الغربية على الساحة، مثل قضايا الحجاب وحرمة عمل المرأة خارج البيت، وتكفير الشيعة والمذاهب الصوفية.

العناصر المميزة لظاهرة الانتشار الإسلامى

أود فى البداية التصريح بأنى أعتقد اعتقادًا جازمًا أنه من الواجب على أية حركة دينية أو سياسية أو اجتماعية أو فكرية، أن تتوقف من آونة لأخرى على حد قول د. عبد الوهاب المسيرى: «لتتأمل ذاتها وتجرد بعض الملامح والخطوط العامة لحركتها حتى يمكنها أن تطور نفسها وأن تعمق أطروحتها»، فما الملامح المميزة لتيار الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة؟ ما الذى يمثل السمات الواضحة للحركة أو الحركات التى أدت إلى هذه الظاهرة؟ وأظن أنه ليس هناك مفردة أو مصطلح فى القاموس العربى يرد على مثل هذه الأسئلة خيرًا من كلمة التناقض.. فالناظر المتعمق أو المشاهد المتأمل يفاجأ أنه أمام حركة قوية أيديولوجيًا، وضعيفة فى علاقتها مع مكوناتها، تيار متجانس نسبيًا فى أفكاره، ولكنه حائر أشد الحيرة فى تحديد حركته، تيار يتميز بمشاركة على مستوى الأسر بينما يفتقد روح العمل كفريق، تيار تتفاوت فيه الطبقات الاقتصادية والفكرية، وتتعدد فيه الجنسيات والأعراق واللغات، وقد يكون الأكثر خطورة فى أمر التناقض هذا هو عدم الاتفاق على قواعد تقييم الجهود نجاحًا وفشلاً أو صوابًا وخطأ، وبذلك تمر السنون والخبرات، بدون وضوح كاف لدروس الماضى، وماذا نستفيد من أخطائه وعظاته.

أما المحللون الغربيون للحركة الإسلامية فى أمريكا وخارج أمريكا، فيشيرون باستمرار إلى نمط متميز لهذه الحركة فى مواجهة تحديات الحاضر، ويتميز هذا النمط فى التفكير بالرجوع دائمًا إلى الماضى للاقتباس منه أو اجتراره واسترجاع مساره، بينما يندر أن ينظر حوله لاستقراء مستقبله أو لاستلهام حل لحاضره من التجارب الثرية التى مرت بها جاليات أخرى فى المهجر الأمريكى.

منظمات وتجمعات وراء ظاهرة
الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة

يميل بعض المحللين إلى تصنيف المسلمين الأمريكيين على أساس مذهبى (شيعة وسنة، إلخ) على نمط التصنيف المسيحى: البروتستانتى والكاثوليكى أو اليهودى: الأرثوذكسى والمحافظ، إلخ ونحن نميل إلى تصنيفهم بطريقة مختلفة إلى ست مجموعات كبيرة لأسباب اجتماعية وفكرية ودينية وسياسية:

١ ـ المجموعة الأمريكية المسلمة حديثًا .

٢ ـ مجموعة المهاجرين المسلمين .

٣ ـ مجموعة الأجيال الجديدة من أبناء وأحفاد المسلمين المهاجرين .

٤ ـ مجموعة الطلبة المسلمين المبتعثين من بلاد العالم .

٥ ـ مجموعة الروافد المتصلة تاريخيًا بالإسلام .

٦ ـ القوى السياسية المتحركة على الساحة الإسلامية فى أمريكا .

١ ـ المجموعة الأمريكية المسلمة حديثًا

يعتقد الكثيرون أن هذه المجموعة هى الأكبر عددًا ، فقد تصل نسبتها إلى ٣٠٪ ـ ٤٠٪ من المجموع الكلى للمسلمين فى أمريكا ، وأغلبهم من المسيحيين من ذوى الأصول الأفريقية الذى اعتنقوا الإسلام ، ولو أن بعض الدراسات تشير إلى تزايد مستمر فى أعداد الأمريكيين والأمريكيات البيض ممن اعتنقوا الإسلام ، رغم نشأتهم المسيحية أو اليهودية أو الإلحادية ، ويقال : إن نسبتهم قد وصلت إلى ١٠ ٪ من تعداد هذه المجموعة ويتميزون عن الآخرين بدرجات أعلى من التعليم والثقافة ، كما أن أغلبهم من شرائح الطبقة المتوسطة فى المجتمع أو من شرائح المجتمع العليا . كما رأينا فى حالة الشاب الأمريكى چون والكر والذى اعتنق الإسلام وعاش باليمن لفترة ثم تطوع وحارب مع تنظيم القاعدة فى أفغانستان حتى تم القبض عليه بواسطة القوات الأمريكية فى قلعة قندهار بعد أحداث سبتمبر .

تحظى الدراسات التاريخية الخاصة بالمسلمين الزنوج بنصيب الأسد فيما كُتب عن المسلمين الأمريكيين ، ولعل هذا يرجع إلى ارتباطها بتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، وأهمية تجارة الرقيق فى الاقتصاد الأمريكى فى المرحلة الأولى من تأسيس الدولة الأمريكية ١٦١٥ ـ ١٨٦٣ ، وتزخر مكتبة الأرشيف الوطنى الأمريكى بالأسماء الحقيقية ، وبعض الملحوظات المهمة عن مجموعات العبيد الذين تم نقلهم بالقسر من غرب أفريقيا ، حيث توجد قبائلهم الأصلية . واستنتج الباحثون من هذه الوثائق أن أكثر من نصف الرقيق الذين تم جلبهم من أفريقيا إلى أمريكا كانوا من قبائل مسلمة وتم

بالتدريج تنصيرهم، إلا الندرة القليلة التى توارثت سريًا مبادئ الإسلام أو تمكنت تحت ظروف مواتية خاصة ممارسة بعض تعاليمه . ولا شك أن هذه الخلفية التاريخية تمثل عاملا قويًا وراء ظاهرة الانتشار الإسلامى ، وقد تم عرض بعض هذه الحقائق التاريخية فى الرواية الطويلة المشهورة الجذور Roots والتى - بعد نشرها ونجاحها الشديد فى عالم الكتب - تم تحويلها إلى مسلسل للتليفزيون فى نهاية السبعينيات ، وقد لاقى هذا العمل نجاحًا ملحوظًا بين الأمريكيين السود حينذاك .

ورغم أن بداية وجود المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية كان تحت الواقع الأليم لتجارة العبيد ؛ مما أدى إلى طمس شبه كامل لهويتهم وجذور تراثهم الدينى ، لكن شاءت الأقدار أن تنعكس الأمور وتظهر أكثر من حركة أمريكية بين الزنوج للبحث عن جذورها الإسلامية ، ونذكر منها الحركات التالية :

* حركة معبد العلوم الموريشية (The Moorish Science Temple) عام ١٩١٣ .

* حركة أمة الإسلام (Nation Of Islam) عام ١٩٢٩ .

* حركة المسلمين السنة (Sunni Muslim Movement) عام ١٩٣٠ .

ولا شك أن أهم هذه الحركات وأكثرها تأثيرًا على المجتمع الأمريكى هى حركة أمة الإسلام ، والتى بدأها فى ديترويت شخص غامض الخلفية ، وكان معروفًا بأكثر من اسم ، ولكن أكثرهم ذيوعًا هو Wallace Fard Muhammed ، والذى ادعى أنه المهدى وبدأ فى دعوة الأفارقة إلى تعاليم مقتبسة من الإنجيل والقرآن .

وفى عام ١٩٣٤ اختفى فارد فى ظروف غامضة بعد أن نادى بزميله اليچا محمد وكان من الأمريكيين الزنوج الذين تبعوه ، نادى به رسولا من الرب ليبعث فى أمة السود العزة ويقودهم نحو معرفة طبيعتهم الإنسانية الحقيقية ، وقاد اليچا هذه الحركة حتى وفاته فى عام ١٩٧٥ ، وخلفه من بعده ابنه وارث الدين محمد وحتى يومنا هذا .

ورغم النقد اللاذع ، والهجوم القاسى من المسلمين المهاجرين ، ومن طوائف المجتمع الأمريكى المسيحى المختلفة على حركة أمة الإسلام وآرائها العنصرية المتطرفة ، ومواقفها العدوانية العنيفة ضد الجنس الأبيض ، وضد الإدارة الأمريكية ، وعلى

تفسيراتها الخاطئة أو تأويلها المنحرف لرسالة الإسلام فى عهد اليچا محمد، إلا أنه يجب الاعتراف أن هذا الرجل كان من أكثر المصلحين الاجتماعيين نجاحًا خاصة فى التعامل مع الطبقات السفلى، والأشقياء ومدمنى المخدرات والخمر والخارجين عن القانون من الأمريكيين السود، وتحويلهم إلى أعضاء عاملين ومواطنين صالحين منضبطين وملتزمين بمسئولية الأسرة والمجتمع وتعاليم القيادة الروحية لطائفتهم، وقد وصل تعدادهم فى أوائل السبعينيات إلى ما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ عضو.

وقد أثبت اليچا محمد جدارته فى القيادة السياسية عند نجاحه فى إنشاء شبكة من المؤسسات التجارية والاجتماعية والاقتصادية مثل المزارع والمصانع ليعمل فيها أفراد جاليته، ثم أضاف لها شبكة من المدارس النموذجية الخاصة فى كثير من المدن الأمريكية الكبرى، حيث كان يتركز أتباعه، وما زالت هذه المدارس تقوم بتخريج الآلاف من الطلبة والطالبات كل عام، ومن الجدير بالذكر أن القائد الروحى الجديد وهو الإمام وارث الدين محمد قد عمل بصبر وحكمة على تصحيح المفاهيم الخاطئة بين أتباع والده وازداد قربًا فى علاقته بالمجموعات الأخرى من المسلمين الأمريكيين، وكذلك بكثير من حكومات الدول الإسلامية وقياداتها الدينية، وحاول جاهدًا التقليل من حدة الخلاف مع لويس فرقان الذى انشق على قيادته، وتشبث بمعالجة قضية الظلم الاجتماعى على أسس عنصرية ومنه خلال تكتيكات تصادمية ترفع شعار «أن الرجل الأبيض هو سلالة الشيطان».

وبالرغم من الاسم الذى اختارته، فإن حركة أمة الإسلام تحت قيادة اليچا محمد ومن بعده لويس فرقان، تنحرف كثيرًا فى عدة أمور عقائدية عن تعاليم الإسلام الحنيف. ومن الجدير بالذكر أن الحوار الدائر بين زعيم الحركة وقادة الفكر فى العالم الإسلامى يشير أن هناك تقدمًا تدريجيًا فى تصحيح مسيرة الحركة.

٢. مجموعة المهاجرين المسلمين

وتتكون هذه المجموعات من أصول عرقية وقومية مختلفة، ويعتقد الكثير أن المهاجرين من شبه القارة الهندية (الهند وپاكستان وبنجلاديش) والبلاد المجاورة لها مثل أفغانستان وإيران هم الغالبية فى هذه المجموعة؛ إذ تصل نسبتهم تقريبًا إلى ٤٠٪،

بينما تضم هذه المجموعة إلى جانبهم جزءًا كبيرًا من البلاد العربية والقارة الأوروبية خاصة من تركيا وألبانيا وبلاد أفريقيا، وأغلب أفراد هذه المجموعة من المسلمين الذين هاجروا فى الستينيات والسبعينيات إلى الولايات المتحدة، وبعضهم كان جزءًا من البعثات العلمية الوافدة من شتى بلاد العالم للدراسة فى الجامعات الأمريكية وقرروا البقاء للعمل والحياة فى هذا البلد بدلا من العودة لوطنهم الأم، كما تضم هذه المجموعة الكثير من العاملين السابقين بالبعثات الديبلوماسية فى واشنطن أو المؤسسات الدولية المتمركزة فى أمريكا مثل البنك الدولى، وصندوق النقد، ومنظمة الأمم المتحدة.

وقد أضيف إليهم فى عقد التسعينيات الآلاف من المهاجرين من البلاد الإسلامية التى تواجه محنة الحروب الأهلية أو كوارث اقتصادية أو عسكرية أو سياسية، وتشمل مجموعات المهاجرين الأكراد والأفغان ومواطنى دول مثل الجزائر ولبنان والعراق والسودان وإيران وفلسطين وسيراليون وأوغندا والصومال وإثيوبيا.

٣- مجموعة الأجيال الجديدة

من أبناء وأحفاد المسلمين المهاجرين

من المعروف أن الأفواج الأولى من المهاجرين المسلمين قد جاء أكثرهم من بلاد الشام وتركيا فى بداية القرن العشرين على أثر تدهور الأوضاع المعيشية فى ظل الحكم العثمانى فى فلسطين ولبنان وسوريا، وتوزعت معظم هذه الموجات من المهاجرين بين الولايات المتحدة وكندا والبرازيل والأرجنتين، ورغم أن أعدادا كبيرة من هؤلاء المهاجرين الأوائل قد فضلوا التركز بولايات معينة فى مدن بذاتها، كما هو الحال فى منطقة ديترويت الصناعية، وولاية داكوتا الشمالية والساحل الغربى بالقرب من مدينة لوس أنچلوس وأجزاء من ولاية أوريجون، ألا أن أبناءهم وأحفادهم قد ذابوا فى المجتمع الأمريكى وتزوجوا منه وانتشروا فيه حتى لم يبق فى هذا الكم الضخم أى علاقة حضارية ذات شأن مع الوطن الأم، إلا من خلال ما يتردد فى وسائل الإعلام الأمريكية العادية، وللأسف فإن هذه المجموعة هى أقل المجموعات حظًا من حيث وجود الدراسات عنها أو من حيث دقة تدوين تاريخها، ونذكر فى هذا المجال الدراسات المحدودة التى قام بها الدكتور عبده الخولى من جامعة إيلينوى والدكتوة

نانسى جبارة من جامعة سانت مارى بكندا، والدكتورة إيفون حداد من جامعة چورچ تاون بواشنطن.

٤ـ مجموعة الطلبة المسلمين المبتعثين من بلاد العالم

تصدرت دائمًا الولايات المتحدة الأمريكية قائمة الدول التى تستضيف أعدادًا كبيرة من طالبى العلم إلى جامعاتها ومراكز أبحاثها ومعاهد التدريب المنتشرة فى ولاياتها الخمسين، ويجىء معظم هؤلاء الطلبة والطالبات من دول العالم النامى والذى يمثل العالم الإسلامى جزءًا ضخمًا من تعداده. وكان من الطبيعى أن ينبثق عن هذه الكثافة العددية أنشطة ومنظمات عديدة، ونذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا MSA، الذى تم إنشاؤه فى شهر يناير سنة ١٩٦٣ على أيدى مجموعة من الطلبة العرب إثر اجتماعهم فى جامعة إيلينوى لمناقشة كيفية تنظيم العمل الإسلامى بين طلبة الجامعات المختلفة. وقد كان من بينهم شخصيات ما زالت عاملة فى الساحة الأمريكية إلى يومنا هذا مثل د. أحمد توتونجى، ود. أحمد القاضى، جمال البرزنجى، ود. هشام الطالب، ود. أحمد فريد مصطفى، ود. محمد شمة، ود. أحمد صقر. وبعد إعلان المنظمة تم تأسيس المركز الرئيسى لها بمدينة جارى القريبة من جنوب شيكاغو، وبدأت تنظيم سلسلة من المؤتمرات السنوية العامة والاجتماعات الإقليمية والندوات المحلية مع الجامعات وبدأ إصدار مجلة شهرية سميت حينذاك بمجلة الاتحاد، ويبدو أن تأسيس اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا قد كان باكورة لمؤسسات أخرى كثيرة ومتنوعة مثل:

مركز التعليم الإسلامى ITc، والوقف الإسلامى لأمريكا الشمالية NATT، والاتحاد الإسلامى لأمريكا الشمالية ISNA، والذى تأسس فى عام ١٩٧٧ كتطور منطقى وطبيعى للانتشار الإسلامى وتغير احتياجات مجموعة الطلبة المسلمين ممن قرروا الاستقرار ـ فى الولايات المتحدة، وعدم العودة لبلادهم، وكذلك لتنوع أنشطتهم العلمية والمهنية. ولذا فقد انبثق عن منظمة ISNA أو خرج من خلال أنشطتها وأعضائها ككيان مستقل الكثير من الجمعيات مثل:

* رابطة الشاب المسلم العربى MAYA.

* تنظيم الشباب المسلم بأمريكا الشماليةMYNA .

* الجمعية الطبية الإسلامى IMA.

* جمعية العلماء والمهندسين المسلمين AMSE .

* جمعية علماء الاجتماع المسلمين AMSS .

* اللجنة الإسلامية للعلاقات العامة MPAC .

ومع بداية حقبة الثمانينيات كان من الواضح أن الانتشار الإسلامى بالمهجر الأمريكى قد أصبح فى حاجة ملحة إلى قيادة فكرية أو منبر حضارى؛ كى يستطيع أن يتعامل أساسًا مع الجانب التنظيرى لحركة الجماهير الإسلامية فى المجتمع الأمريكى الذى يمثل الحضارة الغربية فى أكثر نماذجها المادية فتوة وعنفوانًا كانت البداية الحقيقية لهذا عندما أنشئ المعهد العالمى للفكر الإسلامى عام ١٩٨١ بضاحية هيرندن القريبة من العاصمة واشنطن. وتلخصت فكرة المجموعة التأسيسية التى - شملت د. إسماعيل الفاروقى، ود. عبد الحميد أبو سليمان، ود. طه جابر العلوانى - فى أن مشروع النهضة الإسلامية ممكن تحقيقه إذا تم جذب نخبة العلماء والمثقفين المسلمين لإعادة صياغة الفكر الإسلامى المعاصر ومناهجه فى مجال العلوم والدراسات الإنسانية والاجتماعية، وإذا توفر لهم المناخ الديموقراطى الحر، وكذلك أدوات البحث والنظر العلمى الأصيل المستقل.

ومن الواضح أن المعهد قد كان له عطاء مذكور فى مجال النشر والبحث، واستقطب الكثير من العقول الإسلامية فى المهجر ومن بعض البلاد من خلال ندواته ومؤتمراته وسلسلة مطبوعاته العربية والإنجليزية التى ضمت أسماء لامعة فى عالم الدراسات الإسلامية من أمثال راشد الغنوش، مالك بن بنى، د/ إبراهيم أحمد عمر، محمد الفاضل بن عاشور، د/ مالك بدرى، د/ نصر محمد عارف، د/ محمد عمر شابرا، د/ عبد الوهاب المسيرى، د/ سيد حسين نصر، د/ على المزرعى، د/ فتحى عثمان، وآخرين.

ولاشك أن التمويل السخى الذى حظى به المعهد من مؤسسة الراجحى السعودية كان الدعامة الأساسية لاستمراره حتى منتصف التسعينيات، حيث انكمشت أنشطته إلى حد كبير وانتقل كثير من العاملين إلى مشروع جديد ظهرت له الحاجه على الساحة

الأمريكية حينذاك وهو إنشاء الكلية الإسلامية للعلوم الاجتماعية فى ضاحية ليسبرج بولاية فرچينيا. وقد ساهم المعهد من خلال أحد برامجه فى إعداد الأئمة المسلمين للقوات المسلحة الأمريكية، إلى جانب منح شهادة الماچستير فى العلوم الإسلامية لطلاب الدراسات العليا.

٥- مجموعة الروافد المتصلة تاريخياً بالإسلام

تتميز ظاهرة الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة الأمريكية بتعدد القوة المتحركة على ساحتها، ورغم الحساسية المفرطة عند بعض المسلمين ممن ينتمون إلى المذاهب الخمسة الغالبة عدديًا (الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى والجعفرى) فإن من العدل أن يقال إن مجموعات أخرى ممن رأينا تسميتهم بالروافد كان لهم أيضًا حضور ملحوظ وتأثير متفاوت على الظاهرة التى نقوم بدراستها فى هذا المقال. وبدون الدخول فى خلفية ونوعية المساهمة الفعلية لكل رافد، فنكتفى هنا بسرد أسمائهم، ونرجو أن تسنح الفرصة فى بحوث أخرى لإلقاء الأضواء وتحليل كل من هذه الروافد:

* جماعات التبليغ.
* الطرق الصوفية.
* طائفة البهرة.
* الطائفة الإسماعيلية.
* المجموعات الأحمدية والقاديانية.
* طائفة الدروز.

٦- القوى السياسية المتحركة على الساحة الإسلامية فى الولايات المتحدة

بالرغم من تأكيد الدستور الأمريكى على الفصل الكامل بين الدين والدولة، وبالرغم من الإشارة المتكررة إلى النموذج العلمانى الشامل فى مجالات الحكم

والسياسة، إلا أنه يمكن القول بأن الحياة الخاصة كانت ولا تزال بمعزل عن مثل هذه العلمانية الغربية. وبناء عليه فإن الإنسان الأمريكى عمومًا يبدو ملتزمًا من الناحية الاجتماعية والأسرية بالمنظومة الدينية المسيحية، أو اليهودية؛ ولذا فإن الوجود والانتشار الإسلامى حوله كان ولا يزال مثيراً للانتباه والدهشة، بل والقلق فى بعض الأحيان. . وكما هو الحال لأى حكومة قوية، فقد حاولت الإدارات الأمريكية المتعاقبة أن تتبنى سياسات مناسبة لأهدافها ومصالحها للتعامل مع الجالية المسلمة الصاعدة.

فنجد مثلاً أن الرئيس أيزنهاور هو الذى قام بنفسه فى عام ١٩٥٧ بافتتاح المركز الإسلامى بواشنطن فى وسط احتفال كبير بمناسبة بناء أول مسجد بالعاصمة الأمريكية. وقد كان هذا الحضور بمثابة اعتراف رسمى وترحيب رمزى لهذا الدين الوافد حديثًا على القارة الأمريكية.

وتذبذبت العلاقة بين الإدارة الأمريكية والمجموعات الإسلامية صعودًا وهبوطًا تبعًا لما يحدث على الساحة الداخلية والخارجية.

ومن المهم الإشارة إلى أن الإدارة الأمريكية لم تكن القوة السياسية الوحيدة المهتمة بظاهرة الانتشار الإسلامى، بل إن الكثير من حكومات الدول الإسلامية، خاصة فى العالم العربى، حاولت الوجود والتأثير على ما يجرى بين مجموعات المسلمين الأمريكيين والمهاجرين والطلبة. ولا شك أن الدوافع والأهداف قد تنوعت بين هذه الجهات الحكومية منها وغير الحكومية. ونفضل فى هذا المقال أن نترك هذا لدراسة أخرى. ونكتفى بأن أكثر الأطراف الخارجية نشاطا على الساحة الأمريكية كانت المملكة العربية السعودية، ليبيا، إيران، العراق، ماليزيا، مصر، التنظيم العالمى للإخوان المسلمين وحزب التحرير.

• التوزيع الجغرافى للانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة

تتركز مجموعات المسلمين بطريقة مكثفة فى المدن الأمريكية الكبرى مثل نيويورك شيكاجو، ديترويت، لوس أنجلوس، أتلانتا، هيوستون، سان فرانسيسكو، دالاس، توسون، نيو أورليانز، واشنطن، فيلادلفيا، توليدو وغيرها. ويبدو أن التجمعات العمرانية القريبة من الجامعات تجذب أعدادًا كبيرة من المسلمين أيضًا، كما هو الحال فى منطقة بوسطن بولاية ماساشوستس ومنطقة رالى بولاية كارولينا الشمالية. وعموما

فإن الساحل الغربى يعتبر أكثر الأقاليم تكدسًا بالمسلمين، ويأتى الساحل الشرقى بين بوسطن وواشنطن فى المرتبة الثانية من حيث تعداد المسلمين الذين يقطنون فيه.

وتؤكد الإحصائيات المختلفة أن الإسلام هو أسرع الديانات انتشاراً فى الولايات المتحدة الأمريكية، وترجح بعض هذه الدراسات أن عدد المسلمين قد فاق حاليًا أعداد اليهود فى أمريكا، والذى تم تقديره بحوالى ٦ ـ٧ ملايين يهودى. وترجع هذه الزيادة الملحوظة فى أعداد المسلمين إلى أربعة عوامل رئيسية:

* الزيادة الطبيعية للسكان المسلمين فى أمريكا.

* التصاعد السريع فى أعداد من يعتنقون الإسلام من بين الأمريكيين المسيحيين وتتم معظم هذه التحولات الاجتماعية إما بين المسجونين والمسجونات، أو بين أفراد الجيش الأمريكى، خاصة ممن يقومون بالخدمة فى منطقة الخليج أو بالقواعد الأمريكية الأخرى المتمركزة فى بلاد إسلامية، كتركيا والبحرين والسعودية والكويت.

* الاهتمام المتزايد وردود الأفعال للصحوة الدينية فى العالم الإسلامى.

* الهجرة الكثيفة من البلاد الإسلامية التى عانت من الكوارث والحروب والتدهور الاقتصادى مثل أفغانستان، والصومال، والبوسنة، كشمير، فلسطين، لبنان، العراق، وغيرها.

• آفاق ومشكلات الحركة الإسلامية فى الولايات المتحدة

يتضح لكل باحث مدقق للمراحل التاريخية التى مرت بها المجموعات المسلمة فى الولايات المتحدة الأمريكية أن ظاهرة الانتشار التى نحاول دراستها هنا قد تطورت وتفرعت جذورها.

ويبدو كذلك أنها تعبر عن تيار ينضج تدريجيًا فى فكره ومواقفه، فقد بدأ من مرحلة تشجيع الهروب والانفصال، ثم مر إلى مرحلة المد والانتشار، ثم إلى المواجهة والصدام، وأخيراً نجد جموع المسلمين تمر بمرحلة مزدوجة فى تحدياتها؛ إذ تجمع بين معاناة البحث عن الذات وعن الموقع المناسب فى المجتمع الأمريكى، وبين التفاؤل الصوفى والثقة المطلقة بالله ونصره انطلاقا من الحديث الشريف: «ولد الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء».

ولا شك فى أن ما يحمله المستقبل فى طياته للتيار الإسلامى فى الولايات المتحدة وفى بقية أنحاء المعمورة ، خاصة بعد المواجهات الدامية بين القوة العظمى الوحيدة فى العالم وعدة دول ومجموعات إسلامية ، بدءاً من القصف الجوى للعاصمة الليبية فى عام ١٩٨٥ ، ومروراً بالهجمات الانتحارية على مقر مشاة البحرية الأمريكية فى بيروت، مدينة الخبر بالسعودية، السفارات الأمريكية فى نيروبى ودار السلام، القصف الجوى لمصنع الشفاء بالخرطوم، وقارعة ١١ سبتمبر ، وانتهاء بالهجوم الأمريكى على أفغانستان وتصفية حركة طالبان وتنظيم القاعدة فى أرجاء هذا البلد وتنصيب حكومة موالية للولايات المتحدة، لا شك أن هذه السلسلة من التصادمات العنيفة تجعل موقف الحركة الإسلامية فى أمريكا دقيقًا وحساسًا . ورغم أنه لا جدال أن المستقبل كله فى علم الغيب، ولا نستطيع معرفته أو التكهن به ، إلا أنه من الواجب بل من المطلوب من المفكرين والمثقفين الإسلاميين أن يساهموا فى وضع مخطط استراتيجى بناء على مسح شامل لما حدث فى الماضى، ولما هو واقع على الأرض وعلى الساحة الأمريكية الآن، وكما هو معروف لعلماء التخطيط الاستراتيجى فأول أركان هذا المخطط يضم قائمة بالمشاكل أو نقاط الضعف أو التحديات ، وسنحاول فى الفقرات القادمة أن نلقى ـ باختصار شديد ـ الأضواء على أهم عناصر هذه القائمة .

* عجز بعض المجموعات الإسلامية، عن إقامة علاقات مودة وتعاضد أو حوار بناء مع مختلف عناصر المجتمع الأمريكى ، خاصة القيادات الروحية والشعبية فى منظمات المجتمع المدنى .

* التردد فى الاجتهاد بين علماء المهجر؛ مما أدى إلى تعليق أكثر القضايا الفكرية والاجتماعية التى تواجه المجموعات الإسلامية .

* الخلل فى ترتيب أولويات العمل الإسلامى؛ مما أدى إلى حصر الدعوة وتقييد انطلاقها وتبديد جهود القائمين عليها فى أمور ثانوية أو مهمات فرعية .

* التشتت الغريب والشرذمة الحادة خاصة بين القيادات الموجودة للمجموعات المختلفة، وإصرار البعض من الرعيل الأول على الاستمرار وعدم إفساح المجال للدماء الجديدة .

* غياب مشاركة النساء بطريقة ملموسة فى أنشطة وقيادات المنظمات الإسلامية

المختلفة ؛ مما انعكس على مساهمتهن المحدودة بالرغم من أنهن يمثلن ـ عدديًا ـ أكثر من نصف الجالية .

* تعثرالكثير من المنظمات فى تطوير وتنفيذ انتخابات جادة تعكس مفهوم الشورى الإسلامى وتضمن تمثيلاً فعليًا للأعضاء ومحاسبة دقيقة للقيادة وتنمية حقيقية لروح العمل الجماعى .

* وجود واتساع الفجوة الفكرية بين الأجيال المختلفة وبين الحضارات المختلفة (الأمريكيين والمهاجرين) وبين القوميات المختلفة (العرب ، الهنود ، الأتراك ، الإيرانيين . . إلخ) .

* عدم القدرة على تعبئة الموارد البشرية والوصول إلى التكامل بين المجموعات المختلفة .

● مسلمو أمريكا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١

كانت الهجمة الإرهابية فى ١١ سبتمبر على مدينتى نيويورك وواشنطن صدمة مروعة لكل الجالية الأمريكية المسلمة وكانت منظماتها وقيادتها الروحية من أوائل من ندد وشجب علنيًا بهذه الجريمة الشنعاء ، والتى راح من جرائها آلاف الضحايا الأبرياء . وساهمت الجاليات المسلمة فى حملات التبرع بالدم ، وتقديم المساعدات الطبية والمالية لأسر الضحايا ، وبالرغم من كل هذا فقد صدرت من بعض وسائل الإعلام الأمريكية أصواتا مليئة بالحقد والكراهية ، محاولة تأليب الرأى العام على الإسلام والمسلمين . وقد ساعد على الرد على هذه الحماقات أن الإدارة الأمريكية بالتنسيق مع المنظمات الإسلامية والعربية قد استطاعت منذ البداية أن تحتوى ضوضاء التطرف والعنصرية والتأكيد على أهمية الوحدة الوطنية الأمريكية لمواجهة العدو الجديد وهو الإرهاب العالمى .

ورغم النجاح فى عبور الأيام الأولى من الصدمة بسلام نسبى ، إلا أنه تدريجيًا بدأت ردود الفعل تتصاعد بعد تأكيد الأنباء أن غالبية المتهمين باختطاف الطائرات من أصل عربى ومسلم .

وقد سجلت التقارير الرسمية أنه تم التبليغ عن أكثر من ألفى جريمة من جرائم

الكراهية والعنف ضد المسلمين، مثل الاعتداء البدنى أو التهديد، أو الحرائق المتعمدة، أو السب و القذف، إلى جانب حالتى قتل لهندوسى ومصرى قبطى على أنهما مسلمان ، وقد كانت كل هذه السلبيات محدودة وقليلة بالقياس إلى مشاعر الحب والتودد والتعاطف التى أبرزتها غالبية مجموعات الشعب الأمريكى تجاه جيرانهم وزملائهم وذوى وطنهم من المسلمين الأمريكان.

ويمكن تلخيص التحديات الضخمة التى تجابه المسلمين فى أمريكا فيما بعد ١١ سبتمبر فى النقاط الآتية:

١ - كيف سيتعامل المسلمون مع القوانين الاستثنائية التى وافق عليها الكونجرس الأمريكى والتى تبيح السجن والاحتجاز، والتحقيقات، والتصنت على المواطنين الأمريكيين وغير الأمريكيين الذى يشتبه فيهم؟ وما الممكن عمله تجاه التآكل الغير مسبوق للحقوق المدنية بأمريكا؟

٢ - أين ستقف الجالية الإسلامية من حملة الرئيس بوش المسماة «الحرب على الإرهاب» إذا اتسعت وامتدت لتنال من العراق أو لبنان وسوريا أو إيران أو غيرها من الدول الإسلامية ؟

٣ - ما الموقف الواجب اتخاذه حيال مجموعات المسيحيين اليمينيين المتطرفة والتى تعادى وتتهجم بطريقة منتظمة على الإسلام والمسلمين؟ خاصة وأنها تؤثر حاليا على صنع القرار فى البيت الأبيض وداخل أروقة الكونجرس؟

٤ - ما الواجب عمله أمام إغلاق أو التضييق على الكثير من الهيئات الإسلامية الخيرية بحجة التعاون مع الإرهاب الدولى؟ خاصة وأن أكثر هذه الإجراءات تمت بدون أسانيد قانونية معلنة أمام المحاكم المختصة؟

٥ - كيف يمكن طمأنة جموع المسلمين والمسلمات خاصة المجموعات التى لم تنشط من قبل أو تنضم إلى منظمات وجمعيات إسلامية فى الماضى؟ وكيف يتم إقناعهم بالمساهمة ماديًا ومعنويًا فى الحركة الإسلامية فى أمريكا نظرا لحجم ونوعية التحدى الحالى وأهميته لمستقبل هذه الأمة؟

• **نظرة مستقبلية**

لا شك أن العام التالى لأحداث ١١ سبتمبر كان اختباراً قاسيًا للجالية الإسلامية فى أمريكا ، ولا شك أنه سيكون علامة مميزة فى تاريخها سلبًا أو إيجابًا . فقد كانت هناك نكسات وعثرات جاء بها هذا المخاض الهائل من الأحداث الجمة والغير مسبوقة . كما كان هناك إنجازات وانتصارات يحق لمسلمى أمريكا بل للأمة الإسلامية أن تزهو بها ، فقد انتشر الفهم الصحيح للدين الإسلامى بين دوائر المثقفين وطلبة الجامعات والمعاهد والكنائس، بل وكثير من عامة الشعب الأمريكى . ولكن الإنجاز الأكبر كان فى نضج الجالية وقياداتها تحت وطأة وحرارة اختبار ما بعد ١١ سبتمبر! . تبقى كلمة أخيرة يجب أن تقال : إن على المسلمين فى أمريكا أن يتفهموا ويتقبلوا الواقع المؤلم ـ للعالم الإسلامى اليوم ـ ويعملوا على مواجهته والاعتراف أنه لا جدوى أو أمل فى الاعتماد على عون حقيقى من هذا الاتجاه. والمطلوب الآن هو تعبئة الجهود الذاتية للمسلمين فى أمريكا، حيث إن الدول الإسلامية كلها فى مأزق فكر ى وسياسى واقتصادى واجتماعى، ولا يرجى أن تأتى الحلول أو الأفكار المستقبلية من هذا الجانب . والخلاصة أن تحديات الانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة الأمريكية لن يقدر على مجابهتها أو دراستها وتقييم استراتيجية مستقبلها إلا صفوة المفكرين والمثقفين والعلماء المسلمين الذين يعيشون فى المهجر الأمريكى ، تلك هى مسئوليتهم وهذا هو قدر الله ومشيئته .

د. صفى الدين حامد

أستاذ بجامعة تكساس

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة

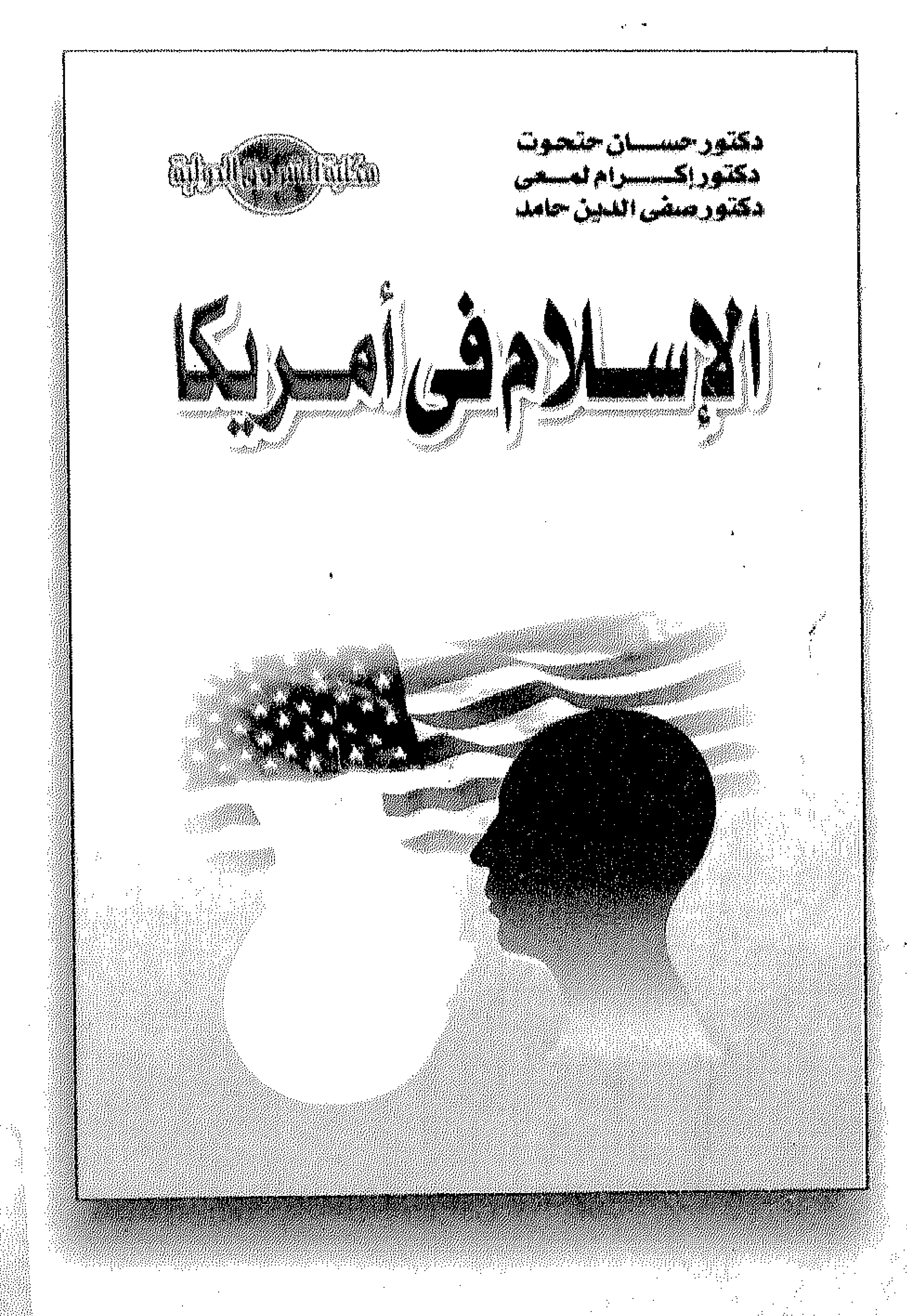
• **الإسلام يحاور أمريكا... د. حسان حتحوت**	٥
بداية	٦
موجات	١٠
الحوار	١٢
أسئلة وإجابات	١٦
التحديات	٢٢
المسلمون ـ التعليم ـ الأخلاق ـ فقه الأقلية ـ القاعدة السياسية ـ الأعداء ١١ سبتمبر ٢٠٠١	٣١
• **طبيعة الحوار الإسلامى الأمريكى... د. القس إكرام لمعى**	٣٩
مقدمة	٤٠
١ ـ تطور النظرية المسيحية الغربية عبر التاريخ تجاه الآخر	٤١
٢ ـ تحليل السياسة الأمريكية في ضوء التناقض بين القيم المعلنة والسياسة الواقعية	٥٠
٣ ـ دور الحضارة والتاريخ في الحوار	٥٣

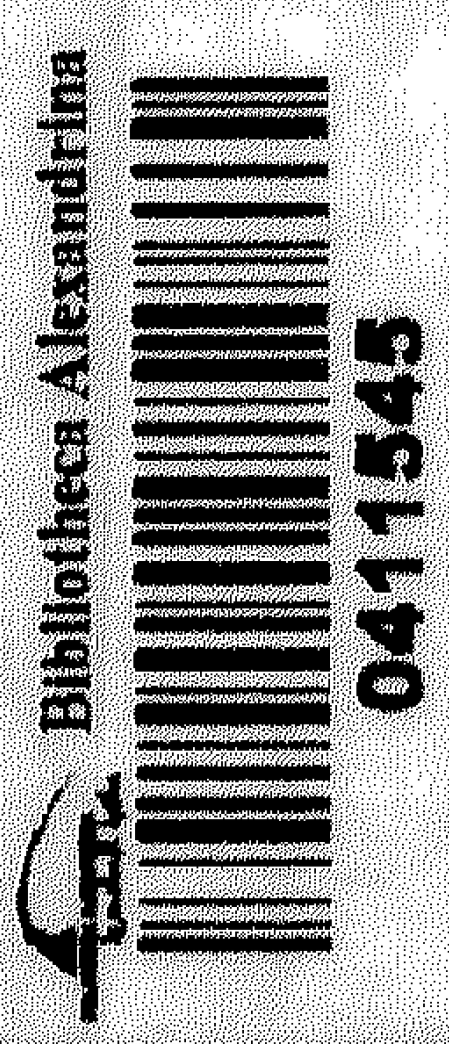
٤ ـ دور السياسة والأمن والحوار ٥٥
٥ ـ دور المثقفين الأمريكيين في الموقف من الحوار ٥٧

• ظاهرة الانتشار الإسلامي في الولايات المتحدة ومستقبلها بعد
أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١... د. صفى الدين حامد ٨٥
مقدمة ٨٦
تعريف ظاهرة الانتشار الإسلامي ٨٨
أهمية ظاهرة الانتشار الإسلامى فى أمريكا ٩٢
مرحلة اختلاط الأوراق ٩٣
المجموعة الأمريكية المسلمة حديثا ٩٦
مجموعة المهاجرين المسلمين ٩٨
مجموعة الأجيال الجديدة من أبناء وأحفاد المسلمين المهاجرين ٩٩
مجموعة الطلبة المسلمين المبتعثين من بلاد العالم ١٠٠
القوى السياسية المتحركة على الساحة الإسلامية ١٠٢
التوزيع الجغرافى للانتشار الإسلامى فى الولايات المتحدة ١٠٣
آفاق ومشكلات الحركة الإسلامية في الولايات المتحدة ١٠٤
مسلمو أمريكا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ .... ١٠٦
نظرة مستقبلية ١٠٨

رقم الإيداع ٢٨٨٤ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 09 - 0911 - 4





تصميم الغلاف محمد ابو طالب

